مغامرات بريئة

مغامرات بريئة

صور من مغامرات الطفولة التي عشناها قبل العصر الرقمي في مدينة إربد وقراها

تأليف د. خير سليمان شواهين

رسم: عمر رمزي

المقدّمة:

أحداث هذه الرواية وقعت في مدينة إربد, و بعض قراها, في أواخر الستينيات وحتى منتصف السبعينيات من القرن الماضي.

وبالنسبة لي , أنا مؤلف هذه الرواية, إربد تعني لي الكثير, فقد سافرت لبلاد كثيرة, وأقمت في أرقى الأماكن, ولكنّي كنت أتذمّر, وأنهي عملي بأسرع ما يمكن, حتى قال لي مدير إحدى الشركات التي عملت بها في دولة عربية من باب الاحتجاج: " إربد المقدّسة"!, قلت: نعم.

لأنه لا يوجد مثل اربد في أي مكان في العالم, ففي دقائق تكون في الأغوار الخضراء تحت سطح البحر, وفي دقائق أخرى تكون في جبال عجلون وغاباتها, وفي دقائق تقف على نهر اليرموك, وفي دقائق أخرى تصل الحدود السورية, وهي محاطة بالقرى الخضراء, بل هي المدينة التي يتبع لها أكبر عدد من القرى في العالم, وكل قرية لها طبيعتها وتاريخها وجمالها.

عندما كنت صغيرا..

عندما أنظر لهذا الجيل الذي لا يعرف إلا الهاتف الخلوي, وتفكيره منحصر بالألعاب والتطبيقات والفيديوهات, وقد حرم من الحياة الحقيقية, فهو بعيد عن الطبيعة, بعيد عن المهارات التي يفترض أن يتعلّمها لأنه قد يحتاج لها عندما يكبر, وهو محروم من الأنشطة التي تبني قدراته الجسمية والعقلية والعاطفية... وتنمّي عنده قدرات التفكير, الناقد, والإبداعي, وحل المشكلات, وتقوّي المناعة في جسمه, وكذلك محروم من المتع البريئة التي كنا نعيشها, ومن الأطعمة المفيدة التي كنا نحصل عليها من الطبيعة.

وفي خضّم هذا الألم تذكّرت جوانب من طفولتنا, التي قد تكون ساذجة, بسيطة, غير مرفّهة, ولكنها كانت ممتعة جدا, وما زال ابناء جيلنا يتحسّر عليها.

هذه الرواية هي رواية لمرحلة الفتيان, وهي ليست رواية علمية أو تربوية, بشكل اساسي, ولكنّها وضعت لإبعاد الفتيان عن الأجهزة الرقمية, ولو لبعض الوقت, ونقل بعض

ذلك الشعور الممتع الذي كنا نعايشه, وتشجيع المطالعة, وهي لا تخلو من معلومات في علوم الطبيعة, والتغذية والرياضة, والعلاقات الإنسانية, والأخلاق, وحتى معلومات تاريخية.

علما أن المكتبة العربية تعاني من نقص في هذا المجال, ونجد أن بعض الروايات الأجنبية المترجمة, تلاقي إقبالا كبيرا, سواء بالشكل المطبوع, أو من خلال تحويلها إلى أفلام كرتون, مثل رواية (توم سوير) للكاتب الأمريكي مارك توين.

أحداث الرواية بنيت على وقائع حقيقية في قرى محافظة اربد, وتم إضافة بعض الإضافات لإعطائها مزيد من التشويق, ولتوصيل بعض الرسائل الصغيرة, في المجالات التي ذكرتها قبل قليل.

أرجو أن تكون هذه الرواية إضافة مهمة للمكتبة العربية, ولا تنسونا من صالح دعائكم.

المؤلف

مغامرة صيد الدبابير

عدت إلى البيت مساء, اقتربت أمّي وشمّت ثيابي, ونظرت لي بغضب وقالت: رشيد, هل ذهبت للمزبلة مرّة أخرى؟

مررت بها في طريقي لبستان أبو الشرايط

ولماذا تذهب إلى هناك؟

ذهبنا نلعب هناك..

في الواقع لم تقتنع أمّي بما قلته.. لقد ذهبنا للبستان فعلا, ولكن مررت أنا وخلف بالمزبلة, نبحث عن الدبابير, ونريد أن نعود غدا لجمع بعضها..

بعد المدرسة تناولت الغداء في البيت, وذهبت مع صديقي خلف لجمعها

سعيد: أنا أخاف عليك من الدبابير يا رشيد, فهي خطرة

رشيد: لا تخف, لدّي خبرة بالتعامل معها

سعيد: على كل حال تعامل معها بحذر.. وهل يمكنني أن أذهب معكم؟

رشيد: ليس لديك خبرة في صيد الدبابير, اذهب وقم بصيد (إبليس).

سعيد: لقد مللت من هذا.

وتذكر ما حدث معي في آخر مرّة؟

خلف: ماذا؟

سعيد: ذهبت مساء الخميس الماضي لرعي بضعة أغنام لعمّي, والتهيت بحفر ابليس, ونسيت الغنم, التي دخلت بستان مجاور, وجاء صاحب البستان, وضربني ضربا مبرّحا, وقال لي: شايف ابليس هذا. أنت أخبث منه.

حشرة النمل- إبليس

(الحشرة التي يطلق عليها اسم إبليس في كثير من البلاد العربية, هي حشرة أسد النمل, حيث تصنع مصيدة بشكل قمعي مغطى بتربة ناعمة, وعندما تسقط نملة لا يمكنها الهروب, فيخرج من تحت التراب ويمسكها, والحيلة هنا, يجب أن تجعل الحشرة تخرج, إما من خلال إسقاط نملة, أو تحريك تراب القمع بعود رفيع لتقليد حركة النمل, أو وضع قطرة ماء, وهذه تنجح أحيانا), علما أنه لا فائدة منها, ولكنها نوع من التسلية, واستخدام الذكاء لخداع الحشرة).

في اليوم التالي عدت مع صديقي للمزبلة, وهي تعني لنا الكثير.

قطعنا بضعة أغصان أشجار مع أوراقها, وصرنا نضرب الدبابير بها.. فتسقط, ونسارع للإمساك بها, نستخدم قطعة معدنية نثنيها لنلتقط الدبّور قبل أن يطير..

وضعنا الدبابير التي اصطدناها في علبة فاصوليا فارغة وغطاءها مفتوح جزئيا.. وأغلقنا عليها..

لقد كانت سعادتنا كبيرة بعد تلك الحصيلة الجيدة..

بقي علينا قسمتها وتحضيرها للعب.. وجلسنا تحت شجرة في حوش منزلنا !

جاء سعيد إلينا مسرعا, نظر في وجهي, كان طبيعيا, ولكن كتف خلف الأيمن كان متورّما قليلا حيث قرصه دبّور.. ولكنه معتاد على هذه

الأمور, وصارت لديه مناعة... وكان يحاول إخفاء الورم بقميصه النصف كم.

قال سعيد: لو قرصك دبّور لتعرّضت لقرصة قوية أخرى من أميّ, عقوبة عاجلة, هذا غير العقوبات الأخرى, والآن كيف ستخرجوها؟

خلف: نهزّ العلبة سريعا حتى تدوخ.. ونفتحها قليلا حتى يظهر دبور ونمسكه إما من جناحه بأيدينا أو بأي شيء متوفّر.

خلف كان لديه خبرة في صيد الدبابير, كان يمسك الدبّور من جناحه, وينظر إلى الجزء الخلفي, الأنثى لا يوجد لديها زبانة/ إبرة, ولهذا فإن اللعب بها آمن.

الذكر هو الذي لديه إبرة ويجب قصّ الجزء الخلفي المحيط بها, وكان يستخدم غطاء علبة سردين أحضره من المزبلة لهذا الغرض.

بعد تجهيز الدبابير, تمت قسمتها بالعدل, وإعطاء سعيد دبورا ليلعب به, بعد أن ربطه رشيد بخيط رفيع, ويترك الدبور يطير حوله.

سعيد: خلف, هل ستعطي أحدا من حصّتك؟

رشيد مبتسما: سيعطي حسن

ولماذا؟

خلف معجب بأخت حسن, ويريد أن تعرف كم هو شجاع, وفي المستقبل ينوي إعطاءه هدايا أهم

مثل ماذا؟ أفعى صغيرة بعد إزالة أسنانها؟

وهل يوجد في المزبلة أفاعي؟

لا, ولكن في الوادي

سعيد: صحيح, تذكّرت, كنت تركب الحمار, وعندما مرّت حسناء أخت حسن صرت تقوم بحركات خطرة ووقعت

يضحك سعيد ورشيد.. ويكشّر خلف

سعيد: كنت أمزح, الحمار هو الذي أخطأ

ويضحك الجميع مع امتعاض خلف قليلا

سعيد: ماذا ستفعلون بكلّ هذه الدبابير

خلف: الدبابير التي سأحتفظ بها سأربطها بخيوط واربط الخيوط في طاقية القش التي البسها.. سوف تخيف بعض الأولاد.. ولا تنسى..

حركة الأجنحة تنتج صوتا مثل الأزيز.. وتحرّك الهواء فوق رأسي,

وأنت يا رشيد؟

سأفعل أشياء كثيرة, سآخذ واحد للمدرسة غدا وأضعه في حقيبة

رزق, تذكرون الموقف النذل الذي عمله معي؟

وإن عرف أنه أنت واشتكى للمعلّم؟

لن يجرؤ على الشكوى, لأنه سيخاف أن أضع له دبورا بزبانة

رشيد: دعك من رزق, سنفّكر في طريقة أخرى لتأديبه دون أن نتعرّض

للعقاب

ولكن ما رأيك بآذن المدرسة؟

خلف: ابو فارس؟

رشيد: نعم, تذكر كم هو لئيم, وفي أيام البرد والشتاء يمنعنا من دخول

الصفوف أو الاحتماء بجدران المدرسة ويجبرنا على الذهاب للساحات

المكشوفة؟

خلف: أذكر, وهل هذا أمر ينسى, ولكن تذكر في العام الماضي عندما وضع له أولاد حبوب كرسنّة (وهي كروية وتعمل مثل محمل العجلات وتقلل الاحتكاك), فسقط وانكسرت رجله.

سعيد: ومنذ ذلك الوقت يأتي من بيته في القرية المجاورة على حمار, ويربطه في كرم الحج عبده قبل المدرسة بقليل؟

رشيد: نتسلل في الفرصة بين الحصص, ونضع دبّور في سرج الحمار بحيث يقرص الحمار أو يقرص الآذن, لعلنا نرتاح منه حتى ينتهي ما بقي من الشتاء.

خلف: موافق, ولكن يجب أن يكون دبورا قادرا على القرص, ولهذا سأختار دبورا ذكرا ولا أقص زبانته.

سعيد: حرام عليكم ..قد يسقط سقطة صعبة

خلف: لا تخف, التربة طرية بسبب المطر... سوف يتلطّخ بالطين وربما بعض الرضوض... ونتخلّص منه لأيام.

رشيد: يجب أن نحضر بعض أصدقائنا الثقات للاستمتاع بذلك العرض, فقريتنا لا يوجد بها كهرباء ولا تلفزيون, ستكون تسلية ممتعة.

خلف: سنفعل, وأولهم حسن رشيد يضحك...

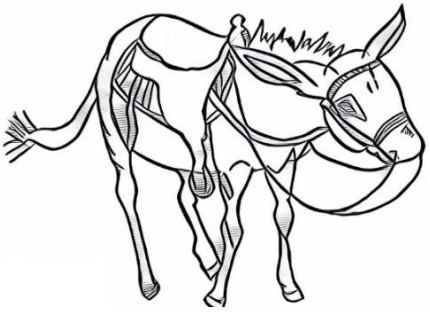

سعيد: سأشاهد من بعيد.. لا أريد أن أتعرّض للعقاب.

تسلل خلف قبل بدء الدوام في المدرسة, ووضع بضعة دبابير في الغطاء الذي يوضع على ظهر الحمار بحيث يتعرض الاذن ابو فارس وحماره للقرص, عندما يجلس ويضغط على الغطاء بجسمه وكان حول المكان عدد من الأولاد يراقبون بصمت.. وقد طلب منهم خلف عدم الضحك حتى يبتعد أبو فارس.

(الدبابير غير أنها حشرات مؤذية, فهي تأكل النحل, وقد تدمّر بيوت نحل كاملة, ولهذا يعمل النحّالون والمزارعون على البحث عن بيوتها في فترة الإباضة وقبل أن تخرج الصغار وإتلافها, وهي مصنوعة من الياف الأشجار وتركيبها يشبه تركيب الورق المقوّى, ويكون شكل

الحجرات التي تضع فيها البيض سداسي, مثل النحل, لتقليل الهدر في مواد البناء).

مغامرة عمل الكيك:

في القرية كان يأتي الكيك والهريسة من المدينة... وهي نوعية رديئة.. ليست مثل الكيك والهريسة التي تصنعها جارتهم النابلسية.. فلا يوجد غيرها في القرية يعرف هذا السر..

وفي إحدى المناسبات أطعمهم زميلهم ابن النابلسية.. وسألوه عن أسرار صناعة الكيك, فقال لهم: يصنع بشكل اساسي من الطحين والبيض والسكّر..

بسيطة, قال رشيد.. سنوزّع الأدوار.. واحد منّا يدخل مبكّرا إلى قنّ الدجاج الخاص بهم ويحضر ما يجد من بيض.. ويحضر الآخر بعض الطحين.. وكذلك السكرّ..

قرروا الذهاب للوادي لصنع الكيك.. ولكن يحتاجون إلى وعاء... عاد واحد منهم للمزبلة.. ووجد علبة زيت حار معدنية فارغة.. قام بتنظيفها جيدا على أحد الآبار..

وأحضروا ماء.. وعلبة ثقاب..

ونزلوا للوادي...خلطوا البيض والسكر والطحين مع بعض الماء بواسطة عود خشبي.. وجمعوا بعض الحطب ووضعوا ثلاثة حجارة لترتكز عليها العلبة..

الذي نتج ليس كيك.. ولكنهم كانوا جوعى.. وأكلوه. كله

مغامرة صيد العصافير... والقطط!

موفّق ولد آخر في القرية... غبي جدا.. وأهتم.. كلامه غير واضح ولا أحد يحب أن يشاركه بشيء.. وقد ألّح على رشيد أن يأخذه معه في أول مغامرة.. وهنا فكّر رشيد بطريقة للاستفادة منه.. فقال له:

موفّق.. في المرّة الماضية عملنا كيك وأكلنا.. هذه المرّة نريد أن نعمل غداء في الوادي.. وسوف نجعلك تشترك معنا.. أحضر معك ديك.. ارنب.. زوج حمام... لنذبحه ونشويه..

موفق لم يتمكّن من تأمين أحد هذه الحيوانات.. ورأى قطا كسولا أمامه.. فأمسكه وذبحه.. وأعطى الكبدة لجدته التي لا تعرف من جاء بها.. ولفّ اللحم بورق.. وانضمّ للزملاء.... بداية ظنوا أنه ارنب.. وفرحوا.. ولكن عندما اخرجوه من الورق عرفوا أنه قط.. فأطعموه للكلاب... وقرروا أن يصطادوا بعض العصافير..

بعض الكبار لديهم بندقية خرطوش.. وهي تصيد كل الطيور والحيوانات البرية.. ولكن يستخدمها الكبار فقط.. وثمن الخرطوشة قد يكون أغلى من ثمن الصيد إن كان صغيرا.. ويوجد لدى عائلة رشيد وسعيد بندقية خردق.. يسمحون باستخدامها فقط في العطلة الصيفية وداخل مزرعتهم..

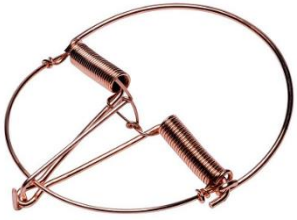

البدائل المتاحة هي النُّقّيفة والمقلاع والفخاخ, وكلّها يصنعوها هم بأنفسهم... ولكن كلها تحتاج لمهارات.

الصيد بالفخاخ يحتاج لخبرة, فليست كل الطيور يمكن صيدها بالفخ, طائر الدوري مثلا.. إن قمت بكَشّه.. يطير بعيدا.. ومن الطيور الصغيرة التي يمكن صيدها بالفخ.. طائر نسمّيه البليقي.. ربما بسبب لونه الأبلق..

كل طير من هذا النوع.. يكون لديه مكان يتردد عليه.. حجر.. غصن شجرة.. ونسميّه المعدان ..وفي لهجتنا (يعيدن) أي يمضي وقتا طويلا في مكان ما.. وكيف نعرف المعدان؟ من خلال براز الطير... نبحث في المنطقة التي نرى بها هذه الطيور.. حتى نجد المعدان.. أو أكثر مكان نراه به..

وعلينا أولا البحث عن طُعم.. وغالبا دودة من نباتات الذرة أو ذرة المكانس.. وهو نبات تصنع منه المكانس الشعبية.. والأغصان التي يوجد فيها ديدان تكون مثقوبة أو يوجد فيها منطقة ضعيفة أو بلون مختلف.

إن لم نجد دودة.. نبحث عن نوع من الخنافس الصغيرة كنّا نسميّها (كُعكُل) ويوجد كهف على بعد ثلاثة كيلومترات أو اقل عن البلدة

تكثر فيه الكعاكل فنذهب ونحضر مؤونة لفترة من الزمن.. والدودة والكُعكُل من الهدايا المحترمة في موسم الصيد.. كما تصلح الدودة ..لصيد السمك أيضا

نضع الطُعم في الفخ.. ونمهّد التراب تحته بشكل مائل.. ونرشّ القليل من التراب الناعم فوق الفخّ.. بحيث يبقى الطُعم مكشوفا.. ونبدأ بتطيير العصفور يمينا ويسارا من أجل أن يطير فوق الفخ.. قد يتطلّب الأمر المشي والركض لعدة كيلومترات.. وعندما ينزل العصفور نهدأ.. وإذا سمعنا صوت الفخ.. والتراب يتطاير.. نسرع حتى نخلّص العصفور.. حتى لا يهرب أو يموت..

في هذه اللحظة تكون سعادتنا لا توصف ..ولكن ماذا نفعل بصيدنا؟ البعض يأكله نيء فطعم هذا الطير لذيذ جدا.. أو يسلخه ويشويه.. أو يرميه في النار بريشه وامعائه.. وعندما ينضج... يسهل نزل الريش والأمعاء.. أنا كنت أحبّه مشوي ومقلي..

ويمكن لأي ولد سمج تخريب عملية الصيد باللعب قريبا من الفخ..

مرّة أمسكنا عصفورا وأراد رشيد أن نربطه بخيط.. كما فعل مع الدبّور.. كان الخيط حريري ناعم.. فقال له سعيد : اخشى أن يقطع الخيط رجل العصفور عندما تطلقه يطير.. ضع ورقة صغيرة بين الخيط ورجل العصفور.. وفعل رشيد هذا.. وبمجرّد أن أطلق العصفور استطاع تحرير رجله والهرب.. وهنا تورّط سعيد مع أخيه رشيد.. لحسن الحظ كانا يلعبان بالعصفور داخل مستودع الحبوب فأغلقا الباب وصارا يضربان عليه ليسقط.. وضربه رشيد بالشبشب.. ولكن سقط الشبشب على وجه سعيد.. فضحك وقال له: وحدة بوحدة..

مغامرة التطعيم:

الأخبار المهمة في القرية قليلة.. ولكن جاء خبر صادم خاف منه كل الأطفال, ستأتي سيارة من الصحة وسيتم جمع كل أهل القرية للتطعيم ضد الكوليرا.. مع أنه لم يصب أحد من القرية بهذا المرض.. لأن الذين يذهبون للمدينة عدد قليل جدا.. ولهذا لا يوجد سبب لنقل ذلك المرض..

سعيد طيّب غالبا.. ولكن إذا تعرّض للاستفزاز فإنه يتحوّل لإنسان آخر... وقرر إفشال عملية التطعيم قبل أن يصل الدور إليه..

حيث سيتجمّع الجميع في ساحات المدرسة.. الرجال والأولاد في الأمام.. والنساء في الخلف, وكان خلف يحمل إبريقا وكأس ماء, لإسقاء من يريد, لأن التطعيم قد يسبب الخوف لبعضهم مثل سعيد, ويجف حلقه, وكان يطمح أن يمرّ بحسناء ويسقيها, ويرمي لها رسالة كتبها على قطعة ورق صحيّ.

قدّم خلف الكأس لرجل كبير في السن, يبدو أنه كان يشرب الخمر بشبابه, فشربه وأعاد الكأس وقال اكسرها, وهو يقصد إعادة ملئها, فرمى الكأس على الأرض وكسر.. وتعرّض لتوبيخ من ذلك الرجل ومن حوله.

سعيد لوحده لا يمكنه القيام بهذا العمل لوحده.. استعان ببعض أصدقائه.. ولم يخبر أخوه رشيد.. لأن رشيد من الذين يؤيدون أخذ اللقاح للاحتياط.. وهو ينوي أن يذهب للمدينة في العطلة لمشاهدة السينما..

فكّر أن يستخدم فأرا, ولكنه الفأر سوف يقتلوه سريعا.. ولهذا اختار قطا.. وربط في ذيله حبل قصير وعلبة معدنية صغيرة ..وضعه في كيس من الخيش ووضعه تحت الكرسي ..وعندما بدأ الممرضين بتطعيم الناس.. فتح الكيس وترك القط ينساب ..وصارت فوضى.. وكان الممرض يلقّح رجل كبير في السن.. وصدم به القط.. وفلتت الإبرة.. وفي النهاية لم يعرف من تلقّح ممن لم يتلقّح.. واستطاع سعيد أن يفلت...

أما خلف تقدّم من أول الناس لأخذ اللقاح.. حتى يراه الجميع.. ويروا شجاعته.

لم تكن أوّل مرّة يخاف بها سعيد من الإبر.. فقد عانى منها كثيرا.. الإبر لم تكن مستهلكة مثل الآن.. وكان المحقن يستخدم لسنوات.. ويتم غليه لتعقيمه.. ولهذا يكون رأس الإبرة ليس حادا.. ويثقب الجلد وكأنه مسمار.. لقد كان مؤلما.. ولم يكن أيضا الذين يفعلون هذا لديهم خبرة في الطريقة الصحيحة لإعطاء الإبر... ومن الذكريات المؤلمة.. جاء ممرض ليعطي رشيد وسعيد إبر بنسلين.. وهما صغيرين...

ضرب رشيد الممرض بحجر, وهربا من البيت حتى طرف الوادي.. وبقيا حتى الغروب.. وهنا سمعا والدهما ينادي.. تعالا.. لقد ذهب الممرض..

ويذكر سعيد وهو صغير عندما قام بسرقة الإبر التي كانت تأخذها أخته الكبرى وكسّرها, لأنه كان يحزن عليها, ويظن أنها ليست بحاجة لها, وقد تعرّض لضرب مبرح من أهله بسبب هذا العمل, وخاصة من أخته صاحبة الإبر.

ما عمله سعيد يوم التطعيم عاد عليه بخوف وندم كبيرين, بعد أيام صار لديه إسهال متكرر, والإسهال من أعراض الكوليرا, وأصيب بالرعب, حتى عرف لاحقا أنه لم يتغطّى جيدا, وتعرّض للبرد وهو نائم.

مغامرة الباطوس

طرق القرية لم تكن معبّدة.. وفي الواقع كانت طرقها ممرّات ضيقة تتسع للدواب.. ولهذا كنا نسير مسافات كبيرة من طرف القرية للطرف

الآخر.. حيث يوجد بستان لعائلة خلف.

يوجد في القرية مناطق منخفضة تتجمّع بها مياه المطر.. وبعضها لا يجف حتى بداية الصيف.. وهذه التجمّعات المائية تسمّى (باطوس) ولكل باطوس اسم.. منها: باطوس دكانة ابو علي.. وباطوس سعدية.. وباطوس الزُّعُق, وهذا تحديدا شخص شريّر يعمل دلاّل في سوق الدواب.. وللتغلّب على مشكلة هذه التجمّعات المائية.. لأننا كنا نضطر أحيانا للمرور بها.. كنا نصنع قبقاب.. من علبتين معدنيتين مثل علب الحليب.. واشرطة قماشية نربط بها العلبة من الطرفين ونمسكها..

ذهبنا مرّة لبستان عائلة خلف ومررنا بجانب بيت الزُّعُق.. فخرج ابنه السمج رزق واستفزّنا لأن والده قريب وسيحميه... ضربه خلف كف ..وهربنا.. ولكن لا يمكننا العودة من نفس الطريق.. واضطررنا للمرور بممرات بعيدة وقفزنا عن سناسل بيوت (اسوار حجرية) حتى عدنا لبيوتنا

وهنا فكّر خلف.. تعرفون أنني أجّلت انتقامي من رزق.. وربما جاء

الوقت.. لن اسبب له اذى.. ولكن بعض الإحراج..

رزق يضع القبقاب خاصته خارج البيت.. فهو يتلوّث بالطين..

قال خلف يسأل سعيد: ماذا تقترح عليّ أن أفعل؟

نضع ضفدعة في قبقاب رزق أم نقوم بإرخاء أو عُقَد الأشرطة التي يربط بها العلب المعدنية؟

ضحك سعيد وقال: الاثنان ..ولكن يجب أن يساعدنا شخص آخر..

أحد جيران رزق.. فلا يمكننا الذهاب إلى هناك اليوم..

لم يجد خلف صعوبة بالإمساك بضفدع... وإيجاد صديق.. حيث وضعها في العلبة.. وحشر بعض الورق فوقها حتى لا تهرب.. وفتحة العلبة تكون للأسفل.. ثم أرخى عقد الأربطة القماشية.. بل جعل نفس الأشرطة ضعيفة باستخدام شفرة ..وانتظروا

بعد وقت... خرج رزق ..ولبس القبقاب قبيل النزول للماء....وعندما وصل الماء علقت العلب في الطين الذي يغطي ارضية الباطوس.. وهذا أمر عادي...وتحتاج لقوة لرفعها, ولكن لأنه التلاعب بها.. انفكّت اربطة العلب وتقطّعت.. وسقط رزق في الماء.. ودخول الماء للعلبة عمل على تفتيت الورق, وساعد الضفدع على القفز من العلبة.. مما فاجأه... وسبب له مزيد من الفوضى في الحمام الطيني.. وقد استمتع خلف وأصدقائه بتأديب رزق..وانتشرت القصّة في المدرسة, ولكن حدثت مشكلة أخرى..

سعيد أثناء البحث عن ضفدع في الباطوس, جمع بعض حيوانات ابو ذنيبة, وهي المرحلة قبل النهائية في نمو الضفدع, وأخذها لمختبر المدرسة, وأفرغها مع كمية كافية من الماء في حوض زجاجي كبير,

وذلك لأنهم يدرسون مراحل نمو الضفدع في هذه الفترة, ويريد أن يكون هذا نشاط علمي له, وهذا أعجب معلّم العلوم.

الذي لم يحسبوا حسابه, أن هناك عطلة عيد الأضحى, وبقي الحوض الذي يحتوي على أبو ذنيبة في المختبر طيلة تلك الفترة, وتحوّلت لضفادع صغيرة قفزت خارج الحوض وانتشرت في كل أرجاء المختبر, ورغم أنهم أمسكوا معظم الضفادع, إلا أن بعضها بقي مختفيا.

وبعد يومين أدخل المعلّم صفا لإجراء تجارب, وقفزت ضفدع لحقيبة أحد الأولاد التي كانت مفتوحة, وعندما فتحها في البيت, قفزت لوعاء الطعام, وهذا سبب للولد المسكين عقابا على خطأ لم يرتكبه.

والباطوس مكان ممتع لمراقبة المغرورين.. فقد تجد شخصا مغرورا يمشي بتكبّر, ولكن يقفز مثل القرد حول الباطوس... وتتسخ ثيابه,,

مغامرة عقوبة المدخّنين

لم يتعلّم رزق الأدب, وبقي وقحا.. هو وأخوه.

قال خلف: لبعض أصدقاءه.. أتعرفون أن رزق وأخوه يقال انهما يشويان الضفادع ويأكلانها.. ويدخّنان أيضا

ضحك سعيد ساخرا وقال: قصدك يدخّنان عيدان الملوخية الجافة.. أكثرنا فعل هذا

رشيد: بل يدخنّان التبغ

سعيد: كيف؟

خلف: والدهم يزرع التبغ ويجففه لاستخدامه هو.. فيذهبان للحقل ويقطفان بعض الأوراق ويجففاها بعيدا عن البيت.. ويطحناها ويحتفظا به هناك.. ثم يترددان على نفس المكان لأخذ حاجتهما أولا بأول.

سعيد: هؤلاء أغبياء.. يحتاجان لتأديب

رشيد: كيف؟

سعيد: نراقبهما.. حتى نعرف المكان

رشيد: ثمّ... نتلف التبغ

سعيد وهو يضحك: البدائل كثيرة... فلفل حار.. أو نأخذ رؤوس عدد من عيدان الثقاب ونخلطها بالتبغ.. فيشتعل قليلا.. وإن كان هذا سيحتاج إلى عمل..

رشيد: ما يهمني أن يعرف والدهم.. لا اريد أن أضرّهم..

سعيد: نأخذ بعض مسحوق الكركم.. وهو أصفر اللون.. ونخلطه مع التبغ المطحون الخاص بهم.. سوف يجعل شفتيهم وأصابعهم صفراء.. وهكذا قد يلاحظ والدهما

خلف: كل ما ذكر مناسب, ولكن يوجد شيء أكثر تأثيرا

رشيد, وسعيد: ما هو

يضحك خلف ويقول: هذه سمعتها من جدّي

-وما هي؟ أخبرنا

خلف: تعرفون أنه في باطن فخذ الحمار من الداخل, يوجد دائرة كأنها طبعة أو ختم, لونها مختلف

نعم, صحيح, وما دخلها بقصّتنا

-هذه الدائرة مغطاة بطبقة حرشفية, لو قمنا بفصل بعضها, وهذا لا يؤذي الحمار, لأنها طبقة ميتة, مثل الأظافر, وخلطناها مع التبغ, ولا يوجد ما يمنع من إضافة الكركم, ولكن ليس الفلفل الأسود, لأنهما إن شعرا به لن يكملا السيجارة

وماذا تفعل؟

يضحك خلف بشدّة: هذا يجعلهم يصدرون الكثير من الغازات.. وإن فعلوا هذا في الصف, ستكون فضيحة

سعيد: الأفضل أن ننتظر مناسبة سعيدة ستكون قريبا عندهم, وأكيد سيدخّنون وقتها, والفضيحة أكبر.

يوافق الجميع, ويوزّعون المهام.

وكان حدثا مهما لا ينسى..

مغامرة الحلاقة:

في المدرسة كنا نحلق على الصفر, وأحيانا ننسى أنفسنا, ولا نحلق, وإن ذهبنا للمدرسة دون حلاقة, سوف يفتح لنا المعلّم شوارع في رؤوسنا بواسطة مقص الورق, وهي طريقة مؤلمة عند قص الشعر بمقص غير مخصص للشعر, ومحرجة عندما يفتح لك شارعا في منتصف رأسك, وتركض للبيت لأخذ أجرة الحلاق ثم تذهب إليه من أجل أن يحلق لك, وسوف تتعرض للسخرية.

في الصف الثاني كان بيتنا بعيد عن القرية, ولم أذهب للحلاق في عطلة منتصف العام, وفي صباح اليوم الأول للدراسة طلبت من ابي أن يحلق لي بآلة الحلاقة اليدوية التي يحلق بها لحيته, كان هناك بعض الإحراج, ولكن أهون مما كان سيحدث معي لو لم أحلق.

في العطلة لم نكن نحلق شعر رؤوسنا, وكنا نقضي معظم وقتنا باللعب في البساتين والجبال, ولهذا كان ينمو القمل في رؤوسنا, وكنا نستخدم مشطا خاصا لإزالة القمل.

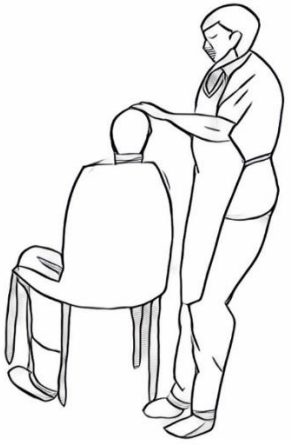

عند غسل شعرنا ..كنّا نستخدم صابون نابلسي للغسل, وكان أخي ألأكبر لديه اشياء مختلفة للعناية بالشعر, منها علبة كنّا نظنّها نوع من زيت الشعر, وندهن بها شعرنا بعد أن نغسله, ولكنه كان ينتج رغوة, وعرفنا لاحقا أنه شامبو.

ولتغطية الفوضى في رأسه, شعر طويل مبعثر, قام سعيد بأخذ كمية كبيرة من علبة زيت الشعر الخاصة بأخته, ودهن شعر رأسه, وكان يلمع من بعيد.

الذهاب للحلاق رحلة عذاب, فلديه محل لأشياء كثيرة, للحلاقة, وصيانة الأدوات المنزلية, وشراء المواد التالفة مثل المعادن.

كان الطفل يجلس على كرسي خيزران, ويستخدم الحلاق آلة حلاقة يدوية تحلق نصف الشعر, وتنتف نصفه الآخر, وهي مغطّسة بالكاز, حتى يكون نتف الشعر أقل.. وهو مؤلم جدا, ولهذا كنا لا نحب الحلاّق, ونحاول تأجيل الذهاب إليه قدر استطاعتنا, ولكنّنا انتقمنا منه مرّة..

أحضر خلف كتلة من الأسلاك النحاسية وكانت كتلة مضغوطة على بعضها, وذهب للحلاق وطلب خمسة قروش, رفض الحلاق, وقال له: أحضر كمية أخرى وسأدفع لك خمسة قروش.

خرج خلف, وقام بتقطيع الأسلاك, قطعا صغيرة, فزاد حجمها, وقبل الحلاق أن يشتريها.

مغامرة الألعاب النارية في العرس

لقد كنّا في عزّ طفولتنا في فترة حرب الاستنزاف, وكانت فترة صعبة علينا, والألعاب التي نحبّها, هي الألعاب النارية... بسبب الأجواء التي نعيشها.

كان يأتي مسدّسات لعبة وتكون الذخيرة مكوّنة من قرص فليّن , وعليه كمية كبيرة من ملح البارود بحجم حبة حمّص.

لم نكن نشتري المسدّس, بل نصنعه نحن من الأسلاك, وعيدان القُصّيّب, ولكن كنّا أحيانا نقص قطعة الفلين حول كتلة ملح البارود بحذر, ونأخذ قطعة ملح البارود لوحدها.

أحيانا كنا نخطئ فتنفجر بيدنا وتحرق اصابعنا.

كان هناك عرس لأقارب لنا في مخيم اربد للاجئين الفلسطينيين, وكانت المنطقة تتعرّض للقصف الإسرائيلي, حيث يوجد عدة معسكرات للمنظمات الفدائية حول المخيم , وقد أخذتنا أمّي للعرس, رغما عنّا... وقررنا أن نتسلّى..

جمع كل من رشيد, وسعيد ما حصلا عليه من نقود, حيث طلبا مصروف لهما في العرس مسبقا, واشتريا بعض تلك الذخيرة.

قاما بفصل كتلة ملح البارود عن الفلين الذي توضع به, ووضعاه في طلقة بندقية فارغة, وكانت متوفرة بكثرة. ووضعا على الفتحة شيء أسطواني خفيف مثل مصفاة سيجارة, ثم عندما جاءت العروس, قام رشيد بضرب الرصاصة على الجدار خلف العروس, حيث إنفجر البارود وأحدث صوتا قويا, وسعيد يراقب العروس والنساء, وكان مشهدا مرعبا..

في منتصف العرس بدأت الطائرات الإسرائيلية تمرّ على ارتفاع منخفض فوق المخيم لتضرب المعسكر الذي يقع إلى الشرق ببضعة

كيلومترات قليلة, وساد الرعب, كان هناك ملجأ ضيق, مدخله مثل مدخل بئر, مليء بالطين بسبب مطر سابق, نزلت العروس وتقطع الكثير من زينتها, وبدأت النساء تبحث عن أبناءها وتبكي,وساد الهرج, ثم توقف القصف, وتفرّقنا سريعا كل أسرة تريد العودة لبيتها.

ما حدث بعد أننا تلقيّنا عقوبة مشابة جزاء ما فعلناه في العرس, لقد كنا نتسكّع في شوارع مدينة اربد, وكانت بلدة كبيرة, من الشمال تبدأ حدودها من دوار الكهرباء, وكان بعده يقع مصنع صابون من الجفت, يصدر روائح كريهة, وفوقه يوجد مولدّات شركة الكهرباء المزعجة, وبعدها بقليل مسلخ المدينة, ومن الجنوب تنتهي بعد مستشفى الراهبات بقليل, حيث كانت المحافظة في المبنى الذي تشغله مدرسة الشفاء بنت عوف, وبعدها مستنبت زراعي لوزارة الزراعة, أنشيء عليه لاحقا جامعة اليرموك.

اربد كانت مدينة هادئة وعدد السيارات قليل, والشوارع شبه خالية, لأن أهل القرى يأتون لقضاء حوائجهم ويعودون سريعا.

كنا في شارع الهاشمي قرب سوق البخارية عندما بدأ القصف, كنت أنا قادم من القرية, ويسكن أعمامي آقصى شمال المدينة, وأختي أقصى جنوبها, مقابل المحافظة.. ونحن في الوسط..أنا وابن أختي وإبن عمّي كنا في الصفوف الدنيا, دخلنا إلى أحد الملاجئ العمومية, وجلسنا في زاوية, وكان فيه بعض العائلات, وعندما هدأ القصف, خلعنا شباشبنا وصرنا نركض, أنا ذهبت لبيت أختي, وقطعنا اربد من وسطها حتى جنوبها ونحن نركض حفاة, وكان الشوارع خالية, لقد كنّا أول من يخرج من الملجأ.

مغامرات زراعية:

لم تكن كل حياتنا مغامرات ممتعة فقط, فقد كنّا نعيش في مجتمع وأسرة, وكّنا نحبّ أن نساعد الجميع في أعمال مفيدة.

زرع قطعة من الأرض بأشتال الزيتون, وكان عندما يأتي مشتري يقلع له من الأرض, ولم تكن أكياس النايلون المستخدمة في الزراعة, ولا

الأصص البلاستيكية الرخيصة متوفرة... في تلك الفترة كنت في أواخر المرحلة الابتدائية..

ذهبنا يوما نلعب إلى المزبلة , فشاهدت الكثير من العلب المعدنية التي تصلح لأن نزرع شتلات الزيتون بها, يبدو أن أحدا تخلّص منها, وكان لدى أخي دراجة هوائية وفي ضيافتنا عائلة أختي وأبناءها في مثل عمرنا..

ذهبنا للموقع, وصرنا نختار العلب الصالحة, ونتخلص من أي بقايا بها, ونجمّعها, وينقلها ابن أختي للبيت, ثم مرّ قريب لنا معه بكب أب عائدا من السوق المركزي حيث باع بعض ثمار المزرعة, فطلبنا أن ينقلها للمزرعة.

وهناك ذهبنا بعد ايام, وساعدنا العمال في قلع شتلات الزيتون ونقلها للعلب المعدنية, ثم ساعدنا نفس القريب في نقل جزء كبير منها لبيتنا في القرية.

كتبت بخط يدي عدد كبير من الإعلانات على أوراق من دفتري, وساعدني الأولاد في لصقها في أماكن متعددة من القرية: أبواب المساجد, الدكاكين, المدارس..

وعرضنا الأشتال أمام البيت.. وسريعا بدأ الناس بالتوافد, وبعنا نسبة كبيرة منها.. ولم نطلب من أهلنا قرشا واحدا بدل مجهودنا هذا..

ابن أختي أطلقوا عليه في القرية (أبو التنك) من كثرة التنك الذي نقله.

في المدرسة كنا ندرس الزراعة في المرحلة الإعدادية, ونزرع في حديقة المدرسة, وكل طالب له حوض صغير يزرع به ما يريد, وبعد الامتحان العملي, حيث يضع المعلّم علامات على أحواض الطلاب, يسمح لجميع الطلاب دخول الحديقة والأكل من النباتات المزروعة..

رأيت حوضا مزروعا بالبقدونس, ومددت يدي وقمت وأخذت ضمّة منه, قبل أن أقرّبها من فمي, قال لي طالب: شمّ يدك, كانت رائحة غريبة لم أحبّها, كان النبات كزبرة وليس بقدونس, ولم أكن أعرف الكزبرة قبل ذلك.

الاعتناء بحديقة المدرسة كان يرجع لمعلّم الزراعة المخلص, النشيط.
وكنا نزرع في حديقة المدرسة اشياء كثيرة , من ضمنها, الفول .
وفي موسم قطف الفول, نأتي باكرا قبل وقت المدرسة بساعة, نأخذ دلاء من المعلم ونجمع الفول الذي يباع للأهالي لصالح المدرسة
كان يقول لنا: كل من الفول كما تشاء, ولكن على الأقل, قرن في فمك, وقرن في الدلو, ولكن نحن لم نكن نأكل منه إلا القليل, لأننا كنا نقول لأنفسنا وبعضنا البعض: المدرسة أولى, وكان يأتي آباءنا ويشترون منه.

مغامرة الغولة

في تلك الأيام لم يكن هناك كهرباء أو تلفزيون, وكانت تسليتنا في الليل هو حكايات جارتنا وقريباتنا العجائز, وكانت أكثر عجوز لديها حكايات الحاجة صبحة, كنّا ننتظرها ونراقب الطريق حتى نضمن أن تأتي إلى بيتنا وليس لبيت أحد الجيران, وتختار إحدى الحكايات التي

تدور غالبا حول الغولة, وأثناء الحديث تأخذها غفوة لبضع دقائق.

وهي تشبه الفاصل الإعلاني هذه الأيام, ونتسمّر حولها حتى تفيق, وتسألنا أين وصلت؟ فنخبرها وتكمل القصة.

أحيانا كانت تذهب لبيت جيراننا, وكنّا نغضب كثيرا ونتساءل فيما بيننا هل ارتكبنا خطأ في حقّها أمس؟

ولكن هي تريد توزيع خدماتها على الجميع بعدالة, وكنّا نجلس بجانب السور في محاولة لسماع الحكاية, وعندما نذهب للنوم, والظلام يشتد كان الخوف يسيطر علينا فربّما جاءت هذه الغولة لتأكلنا, وقد حدّثتنا مرّة عن عائلة تحوّلت البنت الصغيرة فيها لتصبح غولة تأكل أغنامهم في الليل, ولم نجرؤ على سؤالها عن سبب هذا التحوّل, وكيف تحوّلت, خوفا من إغضابها وحرماننا من حكاياتها, ونتيجة لهذه المعلومات المنقوصة صرنا نظنّ أن تحوّل الإنسان إلى غولة أمر شائع, وصرت أشكّ في أن أختي الصغيرة ستكون غولة عندما تكبر, وربّما تقوم في الليل وتأكلني, وكنّا نظنّ أن الأودية التي تحيط بالبلدة مليئة بالغيلان.

رغم أننا كنّا نقضي معظم أوقاتنا في البساتين والسهول والجبال, وحتى التجمّعات المائية, ولكن كنّا في الغالب نهاريين, يجب أن نعود للبيت قبل المغرب, وخاصة أنه لم تكن هناك كهرباء, والشوارع غير مضاءة, وقد يمرّ بأطراف القرية بعض الحيوانات مثل الضباع والكلاب المتشرّدة.

ولكن هذا لا يعني أن بعض الأطفال قد يتسرّبون من بيوتهم ويخرجون ليلا.. وذلك لصيد العصافير أو للسرقة من بعض البساتين.

لصيد العصافير كانوا يأخذون مصباحا يدويا يعمل بالبطارية, وهذا كان منتشرا في تلك الأيام, يستخدمه المزارعون عند حراسة مزارعهم ليلا, ويستخدمه الرعاة لتفقّد حيواناتهم.. وكذلك يأخذه من يريد أن يذهب للدكان ليلا, أو حتى للذهاب للمرحاض الذي يكون خارج البيت أحيانا.

يذهب الأولاد للأشجار والكهوف التي يوجد بها عصافير, يتسلّق أحدهم أو يربط بحبل وينزل للكهف, وهذا عمل خطير, لأنه كثيرا ما يوجد أفاعي في أعشاش الطيور, وقد قام ولد اسمه قاسم بإدخال إصبعه في عش فلدغته أفعى, وقصّوا له إصبعه.

ومرّة ذهب رشيد ونزل إلى كهف يشبه البئر بحبل.. وقد تعرّض للعقاب, لأنه قد يكون هناك أفعى.. وقد يخيف الأولاد أي شيء فيتركوه في البئر.

في العطلة جاء رامي, قريب يعمل والده في المانيا منذ عامين, وكان مغرورا جدا, وفي حين نكون عدة أطفال ومعنا "تعريفة" واحدة, أي نصف قرش كان معه ربع دينار, وأحيانا أكثر, ويتفاخر علينا..

كان يسخر منّا بصفتنا قرويين, وهو قادم من مدينة كبيرة, فقررنا أن نعمل له, فركة أذن, ليعرف من هم ابناء القرى..

استطاع سعيد بأسلوبه اللطيف أن يقنع رامي أن يذهب معنا للسهل الذي يقع خلف التل الذي يحاذي القرية من الشرق, وللوصول إلى التل يجب النزول بوادي مليء بالأشجار, وفي الصيف تكون ثمار التين قد نضجت... وقد يجدون بعض اللوز اليابس في كروم اللوز هناك..

وفعلا ذهب معهم رامي, بعد أن ملأ جيوبه بالحلوى, والمكسّرات, وعندما نزلوا في الوادي, سمعوا صوت كلاب, فشعر رامي بالخوف, وبعد أن لعب خلف بأعصاب رامي الذي كاد يعود للقرية, قال له: هذه كلاب الشيخ البدوي أبو فوّاز, وهو رجل طيّب, وفعلا مرّوا بخيمة أبو فوّاز واسقاهم شنينة (لبن مخيض).. وحاولوا تضييع أكبر

قدر من الوقت عند الشيخ, مع تبرّم رامي, وكان يتمنّى أن يرجع, ولكن يخاف أن يقطع تلك الطريق الموحشة وحده.

بعد ذلك صعدوا التل ونزلوا إلى السهل المنبسط خلفه, والذي يصل للقرية المجاورة, ولعبوا قليلا.. وخلال اللعب, أمسك رشيد بحرباء, وهي غير مؤذية, ولكنّها تتظاهر بالهجوم ورش السم في وجه من يحاول أن يمسكها, وكله تمويه..

قرّب الحرباء من رامي الذي شعر بالخوف, ورجاه أن يبعد الحرباء فهي سامة.. كما يعتقد..

وهنا ضحك الجميع, وقال سعيد: لنأكلها.. واللسان لرامي..

طبعا الحرباء لا تؤكل ولكنه يريد أن يزيد من معاناة رامي..

أكثر الأولاد من ذكر قصص الغولة.. وكيف تختفي في الكهوف العالية في الجبال.. وتخرج في الليل لتبحث عن شيء لتأكله..

كما تحدّثوا عن قصص الضبع.. وذكروا بعض القصص التي سمعوها من كبار السن.. وكل هذا زاد من توتّر رامي وخوفه ..وصار جاهزا..

غابت الشمس.. صار رامي يستجديهم أن يعودوا, فهو غير معتاد على هذه الظروف, ويخشى أن يعاقبه والده.. وكان هناك سعد زميلهم, رتّبوا معه أن يتبعهم, ويختفي خلف أكمة.. ويرتدي ثوب سعودي أبيض كان قد أحضره جدّه من الحج, مع غطاء رأس ابيض, وظهر فجأة أمام رامي الذي كان مسرعا يسبقهم..

صاح رامي مرعوبا... وأخفى الظلام التفاصيل الأخرى... فربّما بال على نفسه..

وهنا تظاهر الجميع بالمفاجأة.. وضحك سعد, وخلع غطاء الرأس, وقال له: أنا سعد.. وشكلي غير مخيف, كل ما في الأمر ارتديت الثوب لأن الجو صيفا.. لقد تظاهر بالبراءة.. وخجل رامي من نفسه..

ولم يعد يتجرأ على السخرية من أبناء القرى..

موضوع الغول والجن والأماكن المسكونة كانت من القصص التي يحبّها الناس... وإن تحدّث أحدهم عن قصة من هذا النوع.. سوف يشارك الكثير ويؤكد كل منهم أنه شاهد غولا أو جنّا ..

قال سعيد لأخيه: هل تؤمن بالجن والغول؟

رشيد: يجب أن نؤمن بالجن, فهذا من عقيدتنا... ولكن ليس بالضرورة القصص التي يذكرها كبار السن الخرفين.. فهم يبالغون.. حتى صرنا نتوهّم أن كل الكهوف في الجبال الأودية المحيطة بنا مليئة بالجن والغيلان..

سعيد: صحيح.. يمكن أن نستخدم هذه القصص بشكل مفيد..

كيف؟ ولماذا؟

سنشيع أن بستاننا على طرف القرية مسكون.. وبهذا لن يجرؤ الأولاد على سرقته ليلا.. وفي النهار يوجد حركة حول البستان.. ولن يجرء أحد على السرقة.

وكيف سنفعل هذا؟

بسيطة... تعرف أن أبي احضر مسجّل صغير.. وربما لا يوجد في القرية مثله..

وكيف سوف نستخدمه؟

سوف نسجّل اصواتا مرعبة.. بصوتك أو صوتي.. وقد نسجّل نباح الكلاب.. ثم نذهب في بداية نضج الثمار ونختفي على شجرة مع المسجّل.. وأظن ستكون تجربة مرعبة..

رشيد: قبلها, يجب أن نشيع في القرية أن البستان مسكون..

سعيد: هذه بسيطة...

مغامرة الكهرباء

في أحد الأيام شاهدت شخصا جاء لتصليح الراديو أراد أن يعرف إن كانت البطاريات صالحة, فأوصلها بمصباح كهربائي صغير, فأضاء, فانبهرت بهذا الأمر, وسعيت لشراء مصباح من الدكّان, حيث يستخدم في المصابيح اليدوية.

بقي عليّ الاسلاك والبطاريات, لم يكن في القرية كهرباء.. وواجهتني مشكلة في البحث عن أسلاك معزولة..

مررت بالمقبرة ووجدت قريبا لي أكبر منّي سنّا يستخدم أسلاك بناء عادية لعمل مصباح, فقلت له: وهل تصلح؟

قال: نعم

لم أسأله أكثر, ولم نكن قد درسنا في مادة العلوم عن الأجسام الموصلة للكهرباء..

البطاريات مكلفة ولا يمكنني شراءها,

ولكنّ وجدت بطاريات جافة في المزبلة,

فهي تستخدم كثيرا لعدم وجود كهرباء..

قال لي قريبي: أمسك البطارية, وإضربها بحجر, بشكل خفيف, هذا يزيد من فعالية البطارية, وستعمل لبعض الوقت.. وعملت مصدر إضافة من المصباح الصغير الذي اشتريته, وأسلاك بناء وبطاريات من المزبلة.

لاحقا, حصلت على علب بلاستيكية صغيرة, واشتريت بطارية جافة صغيرة, وحصلت على اسلاك معزولة من ألعاب تالفة.. وصرت أتفنن في شكل مصدر الإضاءة..

وأحيانا أثبّته فوق رأسي في الليل, حيث كنا ننام في الصيف في حوش البيت.

طريقة إضاءة أخرى كنا نلهو بها, هي حشرة اليراعة, أو سراج الحصّادين.. حيث تظهر في بداية الصيف.. مع فترة حصاد القمح والحبوب..

كنا نجمعها.. ونلهو بها.. وأحيانا نضعها في وعاء زجاجي صغير أو كيس قماشي صغير.. كانت مصدر متعة لنا.. ولا أنكر أننا كنا نستخدم الكيس القماشي المملوء بهذه الحشرة لإخافة الأولاد والبنات الصغيرات ليلا.

مغامرة الكلب المزعج..

كان خلف يعاني من كلب يهاجمه كلّما ذهب إلى مزرعة عمّه.. وهو لا يريد قتل الكلب.. أصلا لو ضرب الكلب بحجر سوف يبتعد عنه.. وسأل جدّته عن طريقة للتخلّص من الكلب.. فابتسمت..

قالت له: خذ مقصا وقص لي بعض شعر الماعز؟

ولماذا؟

ستعرف لاحقا..

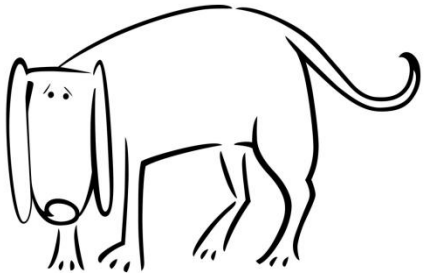

عجنت الجدّة قليلا من الطحين.. وخلطت الشعر مع العجين.. وغطته بطبقة اخرى من العجين.. وعملته بشكل حمامه وخبزته على التنوّر الذي يعمل على الحطب..

أعطت الخبزة لخلف.. وقالت اذهب لبيت عمّك... وإن لقيك الكلب ارم له هذه الخبزة

وماذا ستفعل به يا جدّتي؟

ابتسمت.. سوف يعلق الشعر بين أسنانه.. ويقفل فمه.. ولا يمكنه النباح.. ولا العض.. وسيبذل الكثير من الجهد حتى يتخلّص من الشعر..

ولن يجرؤ على مهاجمتك لاحقا..

جدّتي.. ماذا لو وضعت قرن فلفل حار في الخبزة؟

الجدة: وهل تفوتني هذه؟ لقد فعلت..

سيكون هذا تأديبا قاسيا للكلب, سيبقى قرن الفلفل محشورا في فمه حتى يتخلص من الشعر..

مغامرات قيس الغبيّ

سمع خلف من بعض الأولاد, أن قيس, وهو طالب يتصف بالغباء والإزعاج, يريد أن يوقع بعض البنات في حفل بنات لخطوبة إبنة جيرانهم.. وخشي أن تسقط حسناء.. وأراد أن يحذّرها قبل أن تدخل حتى تميل إليه, طبعا حسن أخو حسناء لا يعرف شيئا حول نوايا خلف..

ومن بداية توافد النساء للحفل رأى أن قيس عمل حلقة من سلك بناء وثبتها بمسمار وغرز المسمار في مدخل البيت الترابي.. وساحة البيت ترابية ينمو فيها بعض العشب..

أول الحضور كانت جدّة العروس, وهي قد تكون الأكبر سنا في القرية, وقد علقت رجلها بالفخ الذي نصبه قيس, فسقطت, ولكن لأنها صغيرة الحجم بسبب كبر العمر.. ومحدودبة الظهر.. والتربة عشبية رطبة ليّنة, لم تتأذى العجوز, وهذا أحزن خلف كثيرا.. الذي عنّق قيس وأتلف الفخ.. وغادر.. ولكنه في طريقه أخبر حسن أن يحذّر قريباته.. وقيس معروف بتصرّفاته الغبيّة...

في أحد الأيام ذهب مع ولدين آخرين لوادي بعيد جنوب غرب القرية.. وكانوا يبحثون على أعشاش العصافير .. شاهد قيس عشا على شجرة خوخ.. تسلّق الشجرة لينظر في العش.. وإن كانت الفراخ شبه ناضجة سيحضرها.. وأحيانا يضعون مادة دبقة للإمساك بالأم..

أثناء صعود الشجرة مرّ صاحب البستان.. فأسرع قيس وجلس على غصن قوي حتى لا ينكسر به.. ولسوء حظّه... كان تحته خلية نحل.. وتعرّض لعدة لدغات..

وفي يوم آخر.. سرق قيس ديكا من قن أحد البيوت.. وذهب مع صديقه إلى الوادي.. لم يكن معهم سكيّنا.. فبحثوا عن حجر صوّان بحافّة حادّة.. وذبح قيس الديك.. وتذكّروا أنهم لا يملكون عيدان ثقاب... فأخفوا الديك المذبوح داخل نبتة شوكية وغطّوه بالحجارة

حتى اليوم التالي.. حيث قاموا بشويه وأكله.. ويقول قيس أنه كان لذيذا جدا.

مغامرة الذهب..

بلادنا مليئة بالمناطق الأثرية, وهذا يشجّع البعض على البحث عن الذهب.. ولكن ليس كل الناس يستفيدون منه..

جارنا مفلح حفر ملجأ بسبب الحرب, ووجد الكثير من الآثار.. وباعها سريعا بثمن بخس..

عائلة بيتهم مرتفع على سفح جبل.. وبدئوا في حفر مغارة أيضا بسبب الحفر..

دخلت معهم إلى المغارة... وطلبت الفأس الصغير من عمّتي..

أعطني الفأس يا عمّتي

ولماذا؟

أرى الحفر سهلا .. وليس مثل الحفر في الصخور.. كأنها رمال متصلّبة

عمّتي: معك حق.. ولكن لماذا؟

لا أدري

بعد عدة ضربات بالفأس الصغير.. فتحت ثغرة.. كانت من التراب..

قالت عمّتي: توقّف عن الحفر.. واذهب ونادي ابن عمّك

ابن عمّي كان شابا, وقد تعب من الحفر, حيث اختار مكان المغارة وبدأ الحفر... وقد حفر منطقة صخرية قاسية.. وعندما ذهب ليرتاح وبدأنا نحن في الحفر صارت رملا

بصعوبة أيقظت ابن عمّي من غفوته.. وكاد يغضب عليّ.. ولكنّي قلت له أن عمّتي تناديه لسبب مهم..

قام مترددا.. ودخل المغارة وعرضت له عمّي ما وصلنا إليه

انفرجت اساريره... وقال: ذهب.. ربما يكون ذهبا..

ونظر لي بحزم وقال: إياك أن تخبر أحدا...

قلت له: نعم.. ثق بي

وبدأ يزيل التراب.. والرمل.. بيده وبمجرفة صغيرة..

لم يكن ذهبا.. خاب أملنا.... ولكن كانت أوعية طبخ وأطباق فخارية سليمة.. كانت مغارة قديمة.. ولكن ابن عمّي بدأ الحفر بعيدا عن بابها الأصلي..

نظّفوا الأوعية من التراب ووضعوها تحت مطوى الفراش تمهيدا لاتخاذ قرار بشأنها.. كان هناك تكتّم شديد..

جاء عمّي, وهو كبير في السن في المساء.. أخبرته عمّتي بما حدث.. وعرضنا عليه بعض الأطباق..

وهنا غضب عمّي وقال:

تريدون أن تورّطونا مع الحكومة؟

كسّروها كلّها وادفنوها..

ردّ الجميع مستنكرين: ماذا؟ نكسرها

نعم .. اكسروها وادفنوها قبل أن يصل الخبر لبعض الجيران ويبلّغوا الشرطة..

قام ابن عمّي على مضض بكسر الأوعية ودفنها.. ولكنه أخفى طبق فخاري صغير مع غطاء قرب المغارة.. وعندما ذهب للمدينة باعه.. وكان ثمنه يعادل راتب موظّف لشهر..

سامحك الله يا عمّي... لو دفنّا هذه الأشياء دون تكسيرها..

مرّ وقت طويل على هذه الحادثة... وفي أحد الأيام كنا نجمع الزعتر البريّ من الجبال.. أنا رشيد, وأخي سعيد.. رأيت سهما منحنيا.. وخلفه مرسوم دائرة وأمامه رموز...

قلت لسعيد, أنظر

تفحّص سعيد الرسم وقال:

هذا رقم روماني يعني أربعة,

لقد عرفته من مادة الإنجليزي

في المدرسة, حيث يتكون من حرف إنجليزيين IV, وهي تشبه سبعة عشر بنظام الأرقام الهندي

رشيد: ماذا سنفعل؟

سعيد: الآن لا يمكننا عمل شيء, يجب علينا أن نعرف ماذا تعني هذه الرموز

رشيد: ومن لديه خبرة في قريتنا؟

سعيد: الحج أبو شلاش, وسنلقاه بعد الصلاة في المسجد..

بعد الصلاة ينتظران حتى يتبعد عن الآخرين.. ويوقفاه, يسلّما عليه, ويصفان له الشكل..

يفكّر أبو شلاش قليلا ويقول: هؤلاء الرومان خبثاء.. السهم والرقم للتمويه.. بما انه يوجد دائرة في طرف السهم.. فالكنز يكون خلف السهم...

رشيد: لقد سألت عن ابي شلاش...وهو ليس خبيرا كما يشاع.. بل معلومات قليلة... وقد لا يكون كلامه صحيحا..

سعيد: هل سننسى الموضوع؟

رشيد: لا.. سنحاول أن نحصل على الكنز.. لنعتبرها لعبة من ألعابنا.. وإن لم نجد الكنز لن نخسر شيئا..

سعيد: وكيف سنعمل؟

رشيد: يجب أن نخبر أبي... فقد حلم كثيرا بالعثور على كنز.. وهو سيشير علينا..

يقرر أبو رشيد عمل نزهة ويأخذ كل أفراد العائلة.. وأدوات حفر صغيرة.. تفرش العائلة بسط بشكل حلقة حول المكان المتوقع للكنز.. ويتصرّفوا بشكل طبيعي.. يلعبوا.. يعدّوا الطعام.. وفي الوسط يحاول أبو خلف وأبناءه التعاون في الحفر..

يجدون حفرة أسطوانية ينظّفوها من التراب ويتوقّفوا عند الصخور.. يوجد صخرة صلبة في نهاية الحفرة.. ويقترب النهار من المغيب..

لقد فشلوا في إخراج الكنز.. ولكن الأمل ما زال يحدوا الولدين في إخراجه يوما ما..

ولكن رشيد وخلف بعد شهور وجدا نفسيهما في ورطة.. حيث ذهبا لمنطقة جبلية في نزهة, وأخذا معها زوّادة, طعام من البيت, بيض مسلوق وبندورة وخبز.. وكانت المنطقة محروثة ومزروعة حديثا.. ولهذا بحثا عن منطقة صخرية وجلسا هناك يتناولان الطعام.. ولكن ما لفت انتباه خلف.. وجود حفر حديثة في المكان..

بعد قليل بدأ عدد من الشباب بالمرور أمامنا, ثم مراقبتنا من بعيد, ثم تجمّعوا حولنا, وسألونا بعدوانية لماذا جئنا إلى هذا المكان, وقالوا لنا أنتم جئتم لهذا المكان خصيصا ولهدف محدد, وبصعوبة خرجنا من المكان دون أن نتعرّض للأذى, وسألت صديقي عن السبب..

وعندما ابتعدنا... تحدّثنا معا لمحاولة معرفة سبب ذلك الهجوم, فقال خلف: شاهدت حفريات هناك, ويبدو أنّهم يظنّون أن هذا المكان مدفون به كنز, واعتقدوا أننا جئنا لنستخرج هذا الكنز, ولولا خوفهم من أن أي مشكلة معنا قد تصل للأمن ويخسرون الفرصة في الحصول على الذهب, لتطورت المشكلة...

واستمرّ الحديث عن الذهب طيلة طريق العودة..

قال رشيد: هل سمعت بذهب الحمقى؟

خلف: وما هو ذهب الحمقى.. وبمعنى أدق .. هل يوجد شيء اسمه ذهب الحمقى؟

رشيد: إنه معدن زهيد الثمن.. أحد مركّبات الحديد.. ويسمى البايرايت.. وهو يتكوّن من بلوّرات صفراء لامعة تشبه الذهب..

خلف: ولماذا سمّي ذهب الحمقى؟

رشيد: بعض الجهلة يبذلون يجدون قطعا من هذا المعدن... ويبذلون جهودا كبيرا لجميع كمية كبيرة منه.. وعندما يأخذوها للسوق, لا تساوي شيئا..

خلف وهو يضحك: تخيّل الوضع المزري الذي يشعر به أولئك الحمقى

رشيد: ما رأيك أن نصنع هذا الشعور عند قيس

خلف: هو أحمق فعلا.. ويخدع بسهولة.. وفي الواقع من لا يعرف عن هذا المعدن يمكن أن يخدع.. حيث يمكن حفّه بمبرد مثلا... برادة الذهب الحقيقي تبقى صفراء لامعة.. وبرادة البايرايت تكون سوداء, ولكن من أين نحصل عليه؟

رشيد: حسب معلوماتي, لا يوجد في منطقتنا.. ولكنه موجود في شبه جزيرة سيناء مثلا, ويمكن أن نشتري بعضه من الشركات التي تبيع المواد الكيميائية والنماذج التعليمية.. وأظن أنها زهيدة الثمن

خلف.. لن نحتاج لقطع كبيرة .. بل قطع صغيرة

رشيد: وأين نصيد قيس؟

ندعوه لمرافقتنا إلى نبع الماء في الوادي, أنا وأنت, ويسبقنا أخوك سعيد ينثر , وأكّد عليه أن لا يخبر أحدا, لا نريد أحدا من أصدقائه الأغبياء ليرافقنا..

وفي عصر يوم الخميس, تسلل سعيد قبلهم بقليل.. كان يسمع صوت حديثهم خلفه.. وبمجرد أن وصل.. نثر قطع البايرايت في الماء بطريقة تظهر وكأنها عروق ذهب خرجت مع الماء القادم من بين الصخور.. واختفى قريبا منهم..

تظاهر خلف ورشيد بالتعب وجلسا وطلبا من قيس أن يحضر لهما بعض الماء للشرب... ثم تشاغلا بالحديث..

وصل قيس إلى النبع.. ورأى قطعة الذهب تلمع في الماء الضحل ..كما يظن.. سريعا أمسك قطعة البايرايت وأخفاها في جيبه.. وأخذ الماء لصاحبيه.. وقرر أن صباح غد الجمعة قبل أن يستيقظ الناس وينتبه أحد للذهب الموجود في سيل الماء الخارج من العين..

وصار مع قيس كمية جيدة من الذهب تجعله أغنى طالب في الصف.. وبقي ترتيب أمر بيعها..

هو لا يريد أن يخبر والده.. خوفا من أن يأخذ الذهب منه.. واختار خاله الشاب ..فهو يثق به كثيرا.. ولا يوجد فرق كبير في العمر بينهما...

انتظر قيس حتى أتيح له الذهاب للمدينة برفقة خاله.. ودخلا إلى محل ذهب صغير..

أخرج الصائغ عدسة ونظر في القطعة... ورماها عليهما..

استغربا .. وسأل خال قيس: ما المشكلة؟

الصائغ: هذا ليس ذهبا.. هذا معدن يشبه الذهب ولا يساوي شيئا

قيس: أنت تخدعنا..

عبس الصائغ ورمى الكيس الذي يحتوي على البايرايت إليهما وطردهما..

وقد ذهبا إلى أكثر من صائغ.. حتى وصلا لصائغ كبير في السن هادئ الأعصاب.. أخرج مبردا صغيرا وبرد قطعة بايرايت على ورقة بيضاء فظهرت البرادة السوداء.. فأشار لها: وقال: الذهب يبقى أصفرا في كل الحالات..

عاد قيس خائبا.. وكان الأصدقاء الثلاثة ينتظرون هذا اليوم.. عندما جلس في الصف حزينا كاسف البال.

مغامرة مع الخلد..

حيوان الخلد يعيش تحت التربة ويحفر شبكة من الأنفاق تساعده على الهروب, وفتحات متعددة, وتظهر أكوام التراب في منطقة وجود الخلد. ويستخدم الأنفاق للحصول على الطعام, فهو يأكل الثمار

الجذرية مثل, الجزر والشمندر والبطاطا والبصل, كما يأكل الديدان التي يجدها في التربة, وحجرة الصغار يكون مدخلها من أسفل حتى يحجز الهواء داخلها إذا تسرّب الماء للمنطقة, فلا يدخل الماء لهذه الحجرة, كما عنده حجرة لتخزين الطعام.

كثيرا ما كان يستفزّنا هذا الحيوان المراوغ ونعجز عن الإمساك به..

سعيد وخالد, وهو جارهم وأصغر من سعيد, وجدا في حقل قريب كوم تربة يدل على وجود الخلد, ويبدو أن بدأ الحفر في هذا المكان حديثا.. وكانت التربة قاسية نوعا ما, وكانت هذه فرصة للإمساك بالخلد, مع أنهما لم يريا الخلد قبل ذلك اليوم, ولا يعرفا شكله بالضبط, ولا يعرفان إن كان يمكن أن يسبب لهما الاذى.. واستمرا بالحفر حتى تحرك تحت طبقة خفيفة من التراب, وكانا على وشك الإمساك به, وإذا برجل يمرّ من عندهما ويقول لهما أنه ليس من الضروري أن يكون خلدا, قد تكون أفعى أكلت الخلد واستراحت في جحره.. فتركا المكان.. ولكن شعرا بالإحباط..

وفي أحد الأيام شاهدا أحد الجيران لديه حديقة يزرعها, وفيها خلد يأكل من مزروعاته, فأحضر أنبوب ماء وشغّل مضخة الماء.. التي ملأت كل الأنفاق واضطر الخلد للخروج..

هذه الطريقة أغرت سعيد, فأقنع بعض الأولاد ومنهم خالد وقيس وحملا عدة أوعية مملوءة بالماء, وقمع بلاستيكي, وصار يسكب الماء في فتحات الأنفاق.. ولكن كمية الماء وبطء تدفّقها سمحا للخلد بالهروب.. ولم يحقق هدفه..

مغامرات وسائل الاتصال..

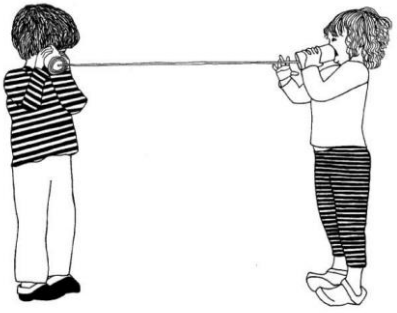

وسائل التواصل التي كانت متاحة لنا هي قليلة, وأوّلها هاتف الخيط, الذي كان ينقل الصوت لبضعة أمتار, لأن الصوت ينتقل في الأجسام الصلبة أسرع من الهواء.

في تلك الفترة كانت وسائل الإعلام بعيدة المنال.. وهي مصدر انبهار كبير.. ومن يتمكّن من إرسال اسمه للإذاعة, أو صورته لإحدى

الجرائد أو المجلاّت فقد حقق إنجازا كبيرا

أول محظوظ كان في صفيّ في المرحلة الابتدائية.. اسمه فوزي.. ارسل لبرنامج ما يطلبه المستمعون وطلب أغنية دقّي يا ربابة.. وذكر بعض الأسماء يهديهم الأغنية.. طبعا البرنامج يختار أي أغنية ولا يلتزم بالأغنية المطلوبة.. وهذا لن يؤثر بمستوى فخر وسعادة ذلك الشخص..

عندما سمع بعض الطلاب اسم فوزي... تجمّع معظمهم حول ذلك المحظوظ.. وكنّا نسأله كيف حقق هذا الإنجاز؟؟

قررت أن أفعل نفس الشيء.. ولكن جلست أمّي بقربي... وقالت: انتبه للإهداءات.. حتى لا يزعل منّا أحد.. أذكر أخوالك وخالاتك.. وهم كثر.. ولا تنسى خالتك في فلسطين.. وخالتك في سوريا.. وأيضا ..ابن خالتك المتوفّاة.. يجب أن لا ننساه

وحتى لا يزعلوا منّا.. أذكر أعمامك وعمّاتك.. وأخواتك المتزوجات.. وبعض صديقات أمي... المهم صارت الرسالة طويلة جدا.. ولم يبق مكان في الورقة لأكتب إهداء لبعض أصدقائي.

وجاء وقت اختيار الأغنية.. قالت أمّي: قبل فترة جاء اهداء من اقاربنا من فلسطين.. وأهدونا أغنية فيروز .. يا دارة دوري فينا.. تا ننسى أساميهم وينسوا أساميناً.. لقد قامت بعمل تعديل في الأغنية.. ودون أن تأخذ إذن فيروز..

لأن الأغنية تقول (يا دارة دوري فينا ظلي دوري فينا. .تا ينسوا . ..أساميهن وننسى أساميناً).. على كل حال هذا غير مهم

وضعت الرسالة في ظرف.. وكتبت عنوان الإذاعة بكل أناقة.. وطلبت شلن ثمن الطابع.. وذهبت للبريد... وبدأت أنتظر... وما زلت.

لقد كانت القفزة الكبيرة هي عندما صار لدينا تلفزيون, قبل الكهرباء كنا نصليّ العشاء وننام, ولكن بوجود التلفزيون نريد أن نشاهد المسلسل العربي, وليلة الخميس تبثّ مجلة التلفزيون, وبعض المسلسلات البوليسية المترجمة.. وهذه كانت مشكلة كبيرة لرشيد وسعيد..

قال رشيد: تعرف يا سعيد أن والدنا كبير في الس, ولهذا بعد صلاة العشاء يجبرنا أن نطفئ التلفزيون وننام, فماذا يمكننا أن نفعل؟

ابتسم سعيد, فهو لديه بعض المعلومات العلمية والمهارات التقنية, وقال لرشيد: يوجد لدينا سماعتي أذن صغيرتين, جاءتا مع المسجّل قبل سنوات, وهما موجود عندي..

رشيد باستغراب: وماذا ستفعل بهما؟

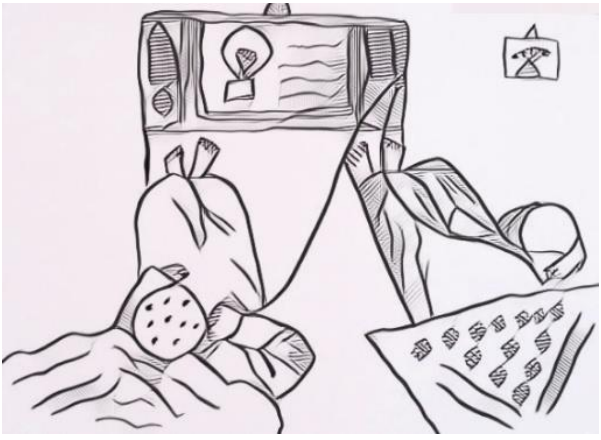

سعيد: كما تعرف يوجد في التلفزيون مخرجين لسماعتي أذن, وإذا أدخلتهما ينقطع الصوت عن سماعة التلفزيون الخارجية... وأنظر ما سأفعله..

أحضر سعيد السماعتين, وأحضرت سلكين طويلين ورفيعين

مزدوجين, مثل سلك الهاتف.. بطول حوالي مترين ونصف, وقصّ أسلاك السماعتين, وطوّلهما..

في المساء فرش رشيد وسعيد أمام التلفزيون وقاما بمدّ الاسلاك من قرب التلفزيون وتحت أغطية النوم, وعندما أطفأ والدهم التلفزيون وأطفأ المصباح الكهربائي, قاما سعيد بإدخال قابسيّ السماعتين بالمدخلين المخصصين لهما في التلفزيون وشغّل التلفزيون.. كان صامتا بالنسبة لمن لا يضع سماعة... وصارا يستمتعان بمشاهدة التلفزيون والاستماع له.

همس رشيد: وإن أفاق أبي, ماذا نفعل؟

سعيد: نتظاهر بأننا نيام وأننا نسينا التلفزيون شغال.. وسيطفئ والدنا التلفزيون ويعود للنوم, ولا أظن أن هذا سيحدث.. لأن والدنا يأتي متعبا من المزرعة, ننتظر قليلا, ونعيد تشغيله, ونسهر كما نريد.

عاد سعيد من المدرسة.. وذهب يلعب مع أصدقاءه من ابناء صفّه .. وقال: في المدرسة اليوم تعلّمنا عن جهاز التلغراف وإشارات موريس

التي تتكون من شرطة وهي صوت طويل .. ونقطة وهي صوت قصير... ويوجد جدول لرموز موريس لكل الحروف والأرقام.. ويمكننا أن نلعب بهذه الرموز

قال ولد: ولكن ليس لدينا تلغراف موريس

سعيد: ليس مهما.. نريد أن نتعلم كيفية ترميز الكلام وتحويله لرموز موريس ثم إعادة فك الترميز.. وينفع كثير من مصادر الصوت

ولد آخر: مثل ماذا؟

سعيد: جرس البسكليت(الدراجة الهوائية).. صوت صفير يقوم به أحدنا. .اشارة ضوئية بواسطة مصباح يدوي, وهذه تصل لمسافة كبيرة, وسوف ننقسم إلى فريقين

وقام سعيد بإحضار كتاب العلوم وورق وقلم رصاص.. وصار يكتب جملة ثم يحوّلها لرموز موريس بالتعاون مع فريقه.. وبقي الفريق الثاني بعيدا حتى لا يسمع كلامهم..

بعد ذلك قام أحد الأولاد بتحويل الرموز المكتوبة إلى صوتية.. تووووت... توت -.-.--- ... وهكذا.. ويقوم الفريق الآخر بكتابة الرموز التي يسمعوها وإعادة فك التشفير بناء على رموز موريس في الكتاب.

انضمّ خلف لهم.. واقترح تطوير اللعبة.. حيث تتضمن رسالة الفريق الأول حزيّرة.. ورسالة الفريق الثاني.. الرد على الحزيّرة..

أعجبت الفكرة سعيد... واقترح تغيير رموز موريس ووضع رموز خاصة بهم.. واستخدامها للتواصل بين مجموعة الأصدقاء وحدهم.. وبهذا يمكنهم الاحتفاظ بأسرارهم الصغيرة...

حتى أن خلف كان لديه خبرا مهما في الصباح.. وكتبته على السبوّرة ونقله الأصدقاء وهم فقط من عرف ما يقصد..

هذه اللعبة استفزّت قيس وبعض أصدقاءه.. وحاولوا كشف سرّها.. ولاحظ أفراد المجموعة رغبة قيس.. وقرروا تأديبه لتدخّله في شؤونهم..

بعد الدوام المدرسي, جلس سعيد وخلف وباقي الأصدقاء.. وفكّروا بطريقة للإيقاع ببدر ومجموعته..

قدّم الأصدقاء عدّة اقتراحات.. ولم تحصل على الإجماع..

قال خلف: تعرفون أن أشجار اللوز في المدرسة أثمرت, ويحاول بعض الأولاد السرقة منها..

قال ولد: وما دخلها بقصة قيس؟

خلف: سأكتب رسالة على السبوّرة بالرموز خاصّتنا.. أقول بها أن حارس المدرسة سيغيب في ليلة الخميس.. لأنه سيحضر حفل عند أقارب له.. وهذا سيدفع قيس للقفز عن سور المدرسة لسرقة اللوز..

وكيف سنوصل له هذه الرسالة؟

اشار سعيد لأحد الطلاب وقال له: قيس يجلس معك في نفس المقعد.. ستترك أحد كتبك على المقعد في الفرصة.. وداخله ورقة عليها الرموز الخاصة بنا.. وعند العودة من الفرصة تأخر قليلا.. في الغالب سوف يفتح قيس دفترك ويرى الورقة ويسرقها..

خلف: خلف.. ولكن هكذا سيعرف كل رسائلنا

سعيد وهو يضحك: سنعدّ طريقة تشفير اخرى.. الأمر ليس صعبا.. يكفي أن نضع رمز حرف س مكان ع وهكذا.. ونحصل على تشفير جديد.

وحتى لو لم يسرق الورقة.. وإن كنت متأكدا أنه سيفعل.... فهو معتاد على النذالة.. ويحاول جاهدا معرفة رموز تواصلنا..

مغامرات يوم العيد...

في القرية لا يختلف الوضع كثيرا يوم العيد عن البلاد الأخرى, حيث يبدأ بصلاة العيد, ثم زيارة الأقارب والجيران, وإن كان عيد الأضحى, فينشغل الناس بذبح الأضاحي.. وقد شاهد رشيد ذبح كثير من الأضاحي, خراف.. وعجول... ولكن أغرب شيء بالنسبة له هو ذبح الإبل..

ولكن ليلة العيد ينصبون أراجيح من الخشب.. وهي غير متوفّرة باقي العام.. وبعضهم ينصب أرجوحة مرتفعة وحوض خشبي كبير بحيث يتسع لعدد كبير من الأطفال..

ذهب رشيد وخلف للأرجوحة.. وقد حصل كل منهم على مبلغ من النقود.. وذهبا للأرجوحة الكبيرة...

كان قد سبقهم ايضا سعيد, وهو يخشى من الارتفاعات..

قال خلف... نريد أن نلعب قليلا بأعصاب سعيد.. فهو يعدّ المقالب للآخرين.. ولم يتعرّض لأي مقلب سابقا..

رشيد: كيف؟

نذهب للأرجوحة.. واركب أنا مع سعيد..

وعندها تجد حجّة لتجعل صاحب الأرجوحة يبتعد أو ينشغل قليلا... كأن تركب قبلنا.. وعندما تنزل تقول أن رجلك صدمت بالأرجوحة وتؤلمك.. وتخشى أن يكون هناك مسمارا في خشب الارجوحة... في هذا الوقت أقف على طرف الحوض الخشبي.. وأبدأ بدفع الأرجوحة لأعلى ما يمكن... وبعدها تضحك على صراخه.

رشيد: وهل هي خطرة؟

خلف: اطمئن.. هي مصنوعة بشكل جيد..

بعد أن نزل سعيد سارع لمعاتبة خلف.. وهنا تدخّل رشيد.. الذي قال له: ذق كما ذاق الطيّبون من قبلك... لم يسلم أحد من زملائنا من مقالبك..

يضحك الجميع..

من المتع المتاحة يوم العيد.. ركوب سيارة .. لأن السيارات كانت قليلة في ذلك الوقت..

ابو سمير السمين, لديه سيارة شاحنة صغيرة.. كان يركّب الأطفال في الصندوق مقابل قرش, ويذهب بهم في رحلة قصيرة مسافتها ثلاثة كيلو متر إلى القرية المجاورة.. وكان يركّب طفلتين كلّ مرّة في المقاعد الأمامية

يمضي الأطفال الوقت وقفا مع الغناء والمزاح.. أما خلف فكان ينتظر فرصة ركوب حسناء في السيارة وبالطبع في الكرسي الأمامي... حتى يركب هو.. ويقف في الجهة اليمنى من صندوق السيارة, ويتدلّى قليلا

للخلف.. حتى يرى حسناء من النافذة... وسيكون سعيدا إن التفتت للوراء وشاهدته..

وسيحاول إسقاط حبة حلوى لها..

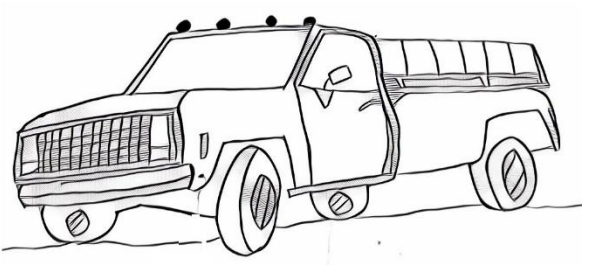

بعد تلك الرحلة السعيدة عاد خلف سريعا لمنزله لحضور توزيع لحم الأضحية, وسيحاول أن يكلّفوه بتوزيع الحصص على الحي الشرقي, لأنهم سيخصّصون حصة لعائلة حسناء.. ولهذا يتمنّى أن تأخذ منه حسناء حصة اللحم وتقدّم له القهوة والحلوى.. وتراه بملابس العيد.. لأن رجال العائلة أيضا مشغولون بالأضحية الخاصة بهم.

فكّر حسن بكتابة رسالة قصيرة على قطعة من الورق الصحّي.. ليمرّرها لحسناء مع حصة الأضحية.. إن كان الوضع مناسبا..

وحدث ما أراده خلف.. في البداية مرّ على بيت صديقيه رشيد وسعيد, حيث قدّموا له الحلوى والقهوة, واختار لهم أكبر حصّة, ثم ذهب لبيت أهل حسناء وصديقه حسن, واختار مكانا منزويا في الطريق وأخرج قطعة لحم من حصة ثانية ووضعها في حصة عائلة حسناء..

في المساء تجمّعت مجموعة من الأصدقاء في سفح الجبل الغربي, وكلّ منهم أحضر كمية من اللحم, وعملوا حفلة شواء كبيرة.. ثم أخرج خلف كمية من كعك العيد أعدّتها أمّه وزّعها على الجميع.

مغامرات الامتحانات..

البيوت كانت صغيرة.. ولا يوجد فيها ما يساعد على القراءة مثل طاولة وكراسي ومكان هادئ.. ولهذا كان الأطفال يختارون الحقول والأماكن الطبيعية القريبة.. للدراسة..

كتب التاريخ والجغرافيا واللغة العربية .. كنا نقرأها ونحن نمشي على جوانب الطرق الزراعية .. وتكون امتحانات آخر العام مع موسم

نضوج الثمار الصيفية مثل البطيّخ, والشمّام والفقوّس, وكان أصحاب هذه المزارع, وتسمّى مقاثي, لأن أكثر مزروعاتهم من عائلة القثائيات...يضعون عرائش لبيع ثمارهم على جوانب الطرق الرئيسية.. وعندما نمرّ بهم.. كانوا يدعوننا للاستراحة.. ويقدّمون لنا بعض الثمار...

وأيضا تكون الحبوب والبقول قريبة من فترة النضج.. ولم تجف وتتيبّس..فنستخدمها للتسلية.. مثل الحمّص والعدس والفول...

أما المواد التي تحتاج لكتابة وحلّ أسئلة.. كنا نجلس في مكان مستوي هادئ على تلّة مقابلة للقرية... ونبدأ بالحل.. ولا يزعجنا إلاّ صوت حمار ينهق في طريق صاعد.

وللتحلية.. يوجد نبات له أزهار زرقاء صغيرة لها رحيق حلو.. وكمية الرحيق أكثر من الموجود أزهار باقي النباتات.. كان نجلس بجانبها ونقطف منها ونمص الرحيق ونحن ندرس

..وأحيانا نكون حتى خمسة أولاد, ومع واحد منّا تعريفة, نصف قرش,

وفي نهاية أحد الطرق التي كنّا نسلكها, يوجد دكان صغير, نشتري منه خمسة حبات حلوى, ونوزّعها على بعض, ونكون في غاية الامتنان..

في امتحان الرياضيات جلست مع مهدي على تلّة شرق البلدة, وقال لي: رشيد, نحن الآن ندرس لامتحان عادي, ولكن بعد شهر سيكون أمامنا امتحان نهاية العام, وهو امتحان وزاري, فنحن في الصف الثالث اعدادي.

رشيد: ماذا تقصد؟

مهدي: سيكون لدينا امتحان في المثلثات والهندسة الفراغية, وهي تحتاج إلى رسم, وهذا لا ينفع هنا في البر, فماذا تقترح؟

رشيد: عندنا في مطبخ البيت "كوارة" معدنية وهي شيء مثل الخزانة تُملأ بالقمح من فتحة بالأعلى, ولها فتحة مع غطاء منزلق في الأسفل لإخراج القمح

مهدي: وما دخلها بالرياضيات؟

رشيد: هي مصنوعة من مادة معدنية خشنة, ومدهونة بلون غامق.. سوف نستخدمها مثل السبّورة, وسوف نستخدم طباشير ملوّنة كما يفعل الأستاذ, وهذا أوضح من الرسم على الورق, ولكن سنحتاج لطباشير.

مهدي: من السهل الحصول على الطباشير

رشيد: كيف؟

مهدي: في نهاية كل يوم واحد منّا بالتناوب يأخذ كسرة طباشير ملوّنة من الصف, ولا تنسى أن الطباشير تشترى من الضريبة التي ندفعها نحن اسبوعيا رغما عنّا, ويسمّوها تبرّعات مدرسية.

رشيد: حتى نهاية الشهر يكون لدينا كميّة كافية من الطباشير... ولا تذكّرني بالتبرّعات, فأنا المسؤول عنها في الصف, وأجمعها من الطلاب كل يوم سبت, وقبل الامتحان يجب عليّ تسليم المبلغ الباقي وأخذ براءة ذمّة.

مهدي: هل دفع الجميع؟

رشيد: تعرف بعضهم يتعبني جدا حتى يدفع ..حيث يماطل لأخر الأسبوع أو آخر الشهر.. وبقي عدد قليل لم يدفعوا وسلّمت قائمة بأسمائهم لمربّي الصف.

وقبل الامتحان بيومين جاء مهدي لبيت رشيد, وفي المطبخ بدأ العمل.. في معظم الوقت كان رشيد يشرح لمهدي, ويرسم المثلثات والأشكال الهندسية بالطباشير الملوّنة على الكوارة..

في الواقع رشيد ضعيف نسبيا بالرياضيات.. ولكن من خلال الشرح فهم أكثر, وللعلم فأن أفضل طريقة للفهم أن تشرح الموضوع لغيرك بكلماتك وجملك أنت.

في نهاية اليوم عانى مهدي من الصداع, فأحضر له رشيد حبة مسكّن, وكان أن تناول طعام الغداء بعد الظهر, وشرب الكثير من الشاي...

وقام سعيد بعمل القليّة, وهو تسلية الفلاحين في ذلك الوقت, حيث يحمّصون القمح قليلا, ثم يأكلونه مثل القضامة (حبوب حمّص محمّصة) أو يدّقونه بالهاون ويضيفون بعض السكّر..

قال مهدي: وتستخدم بطريقة أخرى شائعة عند البدو, حيث يوضع حليب على القمح المحمّص بعد دقّه بالهاون, وأحيانا يضاف بعض السمن البلدي, وهي وجبة مليئة بالمواد الغذائية.

تدخّل رشيد وقال: رعاة البدو, سواء رعاة الغنم أو الإبل, يأخذون القمح المدقوق معهم, وعندما يريدون الأكل يحلبون عليه بعض الحليب, وإن كان معهم سمن بلدي أو عسل يضيفون عليه.

مرّ يومين وجاء الامتحان, وحصل رشيد ومهدي على علامات جيدة جدا.

مغامرة الكاميرا

في عصر أحد الأيام نزل الأولاد للوادي القريب للعب, ومن الألعاب التي كانوا يلعبوها لعبة الطميّمة, أو الإستغماية, حيث يغمّض ولد, ويختبئ الباقون, وتحدد نقطة النهاية, فإن وصل أحد من المختبئين إلى نقطة النهاية دون أن يلمسه الولد الذي كان مغمّضا فقد فاز..

وفي الوادي يوجد صخور وأشجار وأكمات وكهوف صغيرة يمكن الاختباء بها.

جاء قيس ومعه شيء جديد, آلة تصوير, هم يعرفون هذه الكاميرا, ولكن لم يسبق لولد أن كان لديه واحدة.

قيس كان فخورا كعادته, ورجاه الأولاد أن يلتقط لهم صورة, فقال لهم: إن فزت في لعبة الطميمة, سأصوّركم

قال رشيد: تريد تصويرنا لإظهار شعور الهزيمة على وجوهنا؟ لا نريد تصويرك.

خلف: ربما يظن أننا سنسمح له أن يغلبنا من أجل صورة؟

طلب رشيد من أخيه الكبير الذي يتردد على المدينة أن يسأل لهم عن ثمن كاميرا رخيصة, وتبيّن أن الكاميرا التي كانت مع قيس ثمنها نصف دينار, مبلغ يمكنهم جمعه, وذهب رشيد للمدينة وجاء بكاميرا وراكب فيها فيلم, أي جاهزة للتصوير.

طلب سعيد تفحّص الكاميرا, وحذّره من حرق الفيلم, وحتى يرضي فضوله, أخذه جانبا بعيدا عن الشمس المباشرة, وفتح الكاميرا وشاهدا الفيلم.

طلب سعيد أن يأخذ له رشيد صورة وهو يحمل جهاز التسجيل, فهو شيء جديد في القرية, وستكون صورة فاخرة.

بعد ذلك علّق سعيد الكاميرا برقبته مثل السيّاح, وهذا لم يعجب رشيد, وخرجا للقاء الأصدقاء, وإلتقطا صورا للأصدقاء والعائلة..

وهنا تدخّل قيس, فقد كسرت الكاميرا حيث وقع وهو يقفز في الوادي, ويريد التقاط صورة له مع الحمار..

تذكّر رشيد موقف خلف السابق عندما طلبوا منه تصويرهم, فقال له:

سأصوّرك بجانب الحمار.. وأكتب تحت الصورة: قيس إلى يمين الصورة!

ضحك الجميع, ولم يفهم قيس ما يعنيه رشيد... وقبل أن يلتقط له صورة مع الحمار..

طلب خلف من رشيد ترك صورتين أو ثلاثة, فسأله عن السبب

فأخذه جانبا, وهمس له أنه يريد محاولة تصوير حسناء

فوجئ رشيد بهذا الطلب وقال له: كيف ستفعل هذا؟

خلف: غدا الجمعة ويوجد عرس, وسأنتظر في طريق حسناء, حيث سيأتون وقت الغداء, ثم حضور الزفّة, وأنا أمسك الكاميرا وأتظاهر بتصويرك, ولكن أصوّرها.

رشيد: ولماذا لا أصوّرك أنت؟

خلف: لن تتيح لك حسناء هذه الفرصة, وأنا أيضا لا أقبل أن تصوّرها أنت, ولكن عندما ترى الكاميرا معي سوف تتلكأ في المشي وتنظر نحوي, وقد أفوز بصورة.

وافق رشيد, وفي يوم العرس التقط خلف عدة صور, وهذا تسبب في تأخرهما عن طعام العرس.

خلف: على كل حال هذا لا يهم في سبيل حسناء.. وكان سعيدا ينتظر (تحميض) الفيلم.

رشيد تضايق قليلا.. كانت ينتظر طعام العرس, وأمّه لم تطبخ, لم يبقى أمامه إلا عمل شطيرة زعتر وزيت..

وضع الفيلم على ظهر الخزانة لأكثر من أسبوعين, حتى جمع رشيد وسعيد وخلف أيضا, تكلفة الذهاب للمدينة وتحميض الفيلم..

ولكن للأسف كان الفيلم محروقا, ولم يعرفوا السبب وراء ذلك.

سعيد: ربما تأخير تحميض الفيلم هو السبب؟

رشيد: خسرنا شيئا آخر

خلف: ما هو؟

رشيد: السخرية من قيس, تخيّل لو أنني أعطيته الصورة بعد أن كتبت على قفاها: ملاحظة: يظهر قيس في يمين الصورة

ضحك الجميع..

مغامرة معلّم الرياضيات

في المدرسة الابتدائية كان المعلمين ودودين ومخلصين في التدريس, وكنا نفهم دروسهم ولا حاجة لنا لأن نعيد دراستها في البيت... ولهذا لم يحمل أي منهم عصا.. رغم أن الضرب كان مسموحا به في المدارس.

ومن جهة أخرى, كنا نكرة معلّم الحساب فهمي, فقد كان طبعه متقلّبا, وكنّا نراقبه في الصباح عندما يأتي للمدرسة..

رشيد: عندما يأتي وقد لبس الطقم الفاتح, ومشّط شعره المنكوش ووضع العطر.. تكون علاقته بزوجته جيدة في اليوم والليلة السابقين.. ويكون راضيا.. ولا يضربنا

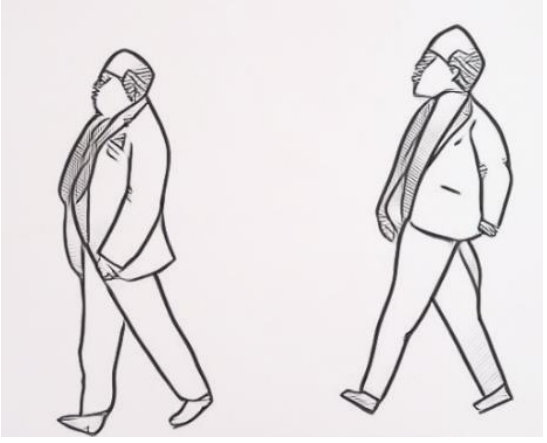

سعيد: وما هو تأثير الزوجة على سلوك الرجل؟

رشيد وخلف يضحكان: أنت صغير لا تعرف هذه الأشياء

ويكمل رشيد: أما إن كان يرتدي الطقم الأسود الكالح.. يكون شرا مستطيرا.. ويضرب لأقل سبب

خلف: ولكن لا تنسى.. هو في داخله رحيم.. عندما يضرب ولدا ويبكي يشفق عليه فعلا

رشيد: فعلا, إنه رجل غريب الطباع

خلف: ربما لا تعرفون أن الأستاذ فهمي كان في الأحزاب الممنوعة وتعرّض للاعتقال.. وهو يطبّق ما تعرّض له علينا.. ولكن تدركه الرحمة فيعفوا عنّا

سعيد: تعرفون أنني من الأوائل في الصف , ولم أتعرّض للضرب, ولكن في أحد الأيام لم أتمكّن من حل بعض الأسئلة...

خلف: وماذا فعل؟

أخرجني مع عدد من الأولاد أمام الصف.. وبدأ يضرب كل ولد عصاتين.. ولا يعيده لمقعده.. ولكن يطلب منه أن يعود للوقوف من جديد...

خلف: لماذا؟

سعيد: في الضربة الأولى يسألك, أو بوصف أدق يحقق معك, كما كانوا يفعلون معه في المعتقل..

خلف: ثم ماذا؟

سعيد: يعطيك فرصة للاعتراف..

يضحك الجميع... الاعتراف؟ وبماذا تعترف؟

سعيد: هو ينسى نفسه ويظن أنه في المعتقل..

والوقوف بعد الضربة الأولى مؤلم نفسيا.. وبهذا بعد الضربة الثانية بكيت

خلف: وماذا فعل؟

سعيد: أعادني للمقعد, وسامحني من حلّ واجب الرياضيات لشهرين مقدّما

رشيد: فعلا إنه مجنون

خلف: وماذا فعلت بعد تلك الضربة؟ وكيف صارت علاقتك معه؟

سعيد مبتسما: لقد كان ذلك الموقف صعبا.. أول مرّة أضرب في الصف.. ثم أبكي ...وفي الحصة التالية كانت في اللغة العربية... ويعرف المعلّم أنني أكتب الشعر.. فطلب منّي أن أهجو الأستاذ.. نوع من الدعابة والمناكفة بينهما..

خلف: وربما يريد أن يستغّل هذه الفرصة بسبب مشاعرك الجيّاشة

سعيد: صحيح.. وكتبت قصيدة مطلعها:

معلّمي معلّم الحساب.. ذمّني لأتفه الأسباب

يضحك الجميع ..ثم ماذا؟

قلت فيه أيضا, وأنتم تعرفون نظارته السميكة مثل قاعدة كاسة الشاي على عينيه, وفي هذا قلت:

وهو إنسان بسيط.. للنظّارات على وجهه محيط

يندهش خلف: ألم يغضب؟ ألم يضربك؟

يضحك سعيد: بالعكس, لقد صرنا أصدقاء.. وقد زرته في بيته أيضا...

ماذا؟

سعيد: ألم أقل لكم.. هو شخص طيّب ولكن لديه عقد بسبب السجن والتحقيق...

خلف: وزوجته

يضحك الجميع

وهنا دخل قيس في الحديث.. وقال: أنتما أيضا سعيد ورشيد كنتما تمارسان شيئا قريبا من هذا

خلف: كيف؟

رشيد: كنت أنا وأخي عريفين لصفوفنا, وكان الطالب المشاغب يفضّل أن نضربه نحن, ولا يضربه المعلم, لأننا ارحم, ولهذا كان معنا صلاحيات واسعة.

كنا نضبط صفوفنا, ونتمشّى معا في ممر جناح الذي كان به صفّنا, وهو

بعيد عن جناح الإدارة, كنّا نشعر وكأننا معلمين, بل أحيانا يتأخر أو يغيب معلم, وكنّا نعطي الحصة, بمستوى لا بأس به.

خلف: نعم , معظم الطلاب يحترمون المدرسة والقوانين ويريدون أن يتعلموا.

مغامرة الطائرة الورقية

رشيد: في القرية لم نكن نعرف عن الطائرات الورقية.. حتى انتقل للقرية جيران جدد, وكان أبناءهم يتقنون صنعها من الورق وعيدان القصيّب.. وغراء نصنعه من خلال غلي الدقيق والماء.

أول طائرة ورقية لي ارتفعت في سماء القرية في صباح يوم خريفي.. وكان هناك ريح قوي, ولها ذيل طويل يساعد على ثباتها, وكان عشرات من الأولاد يرمونها بالحجارة, ولم يصلها حجر واحد لإرتفاعها.

بعد ذلك أنزلناها لصيانتها, فجاء ولدين وأسقطا عليها حجرين كبيرين فكسّراها.

بعد يومين صنعنا واحدة أفضل, وكان الهواء قويا جدا, وهذا يحتاج لذيل طويل وثقيل, ولم نجد قماش كاف, فصرنا نربط بطرف الذيل أشياء بلاستيكية من المزبلة, مثل شباشب بلاستيك, قناني بلاستيكية, وغير ذلك من الأشياء البلاستيكية, وكنا نربط بعضها بشكل غير مشدود بسبب السرعة, فتقع على رؤوس من يحاول أن يضرب حجر على الطائرة, وتخلصنا من المزعجين..

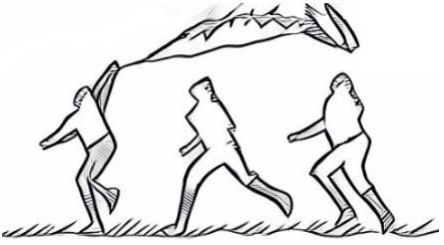

ثم انتشرت هذه التقنية.

في تلك الفترة لم يكن في القرية كهرباء.. ولهذا لا يوجد أعمدة أو اسلاك كهربائية تعيق حركة الطائرات.. وأفضل مكان لتطييرها هو على البيادر .

كان يمكن للولد كتابة شيء على الطائرة.. خلف كان يريد أن يتعلّم هذه التقنية.. وقد اشترى ورق تغليف أبيض.. وكتب بخط أحمر عريض حرف "ح" وحرف "خ" , أي الحرفين الأوليين من اسميّهما, خلف وحسناء .

مغامرة ريشة الكتابة

لقد أكمل فريد أخو خلف الصف الرابع, وانتقل للصف الخامس...

حتى الصف الرابع يكتبون بأقلام رصاص, وفي الصف الخامس يكتبون بريشة حبر.

ذهب فريد وخلف ومعهم سعيد الذي يعتبر نفسه خبير بريش الكتابة, إلى الدكّان القريب, وكانت تجلس ابنته, وهي أكبر منهم..

ثمن الريشة خمسة قروش, وثمن علبة الحبر قريبا من هذا.

فريد: كلها ريش كتابة.. سأختار ريشة حسب لونها

سعيد: لا تغلط, يوجد ريش سنّها مشوّه, وخطّها سيء

فريد: هذه أول مرّة أسمع بهذا الأمر... وهل تعرف كيف تختار لي ريشة جيدة؟

سعيد بثقة: أنا خبير بها

يفرح سعد.. فهو في أيدي أمينة

تبدأ البنت تعرض لهم الريش.. ويأخذ سعيد الريشة ويضغط سنّها على إظفار إبهامه.. ويقول.. لا تصلح.. وكذلك لديه مصطلحات أخرى لوصف انواع العيوب بالريش لا يفهمها إلا هو.. مثل: مسوكجة.... مفعوطة... خطها قبيح.. هذه إمساكها غير مريح.... هذه تخدش الورق..

حتى فحص كل الريش في المحلّ... وهنا أخرجت البنت ريشة والدها الثمينة, وقالت له.. هذه أغلى ريشة عندنا خاصة بوالدي...

وأيضا لم تسلم..

وهنا تدخّل خلف وأنهى هذه المهزلة.. وتناول ريشة وعلبة حبر ودفع ثمنها وغادر الجميع..

بقيت مشكلة.. وهي ملء الريشة بالحبر..

بحث فريد عن قطعة قماش لمسح الحبر, واختار مكانا مناسبا.. وبدأ يسحب الحبر للريشة.. ورغم كل احتياطاته.. امتلأت أصابعه بالحبر.. وأنسكب بعضه على بنطلونه.. ويقال أن هذا حبر صيني أصلي يصعب إزالته.. سيواجه مشكلة مع أمّه..

لقد انتهت المشكلة الثانية.. والآن المشكلة الثالثة.. وهي الكتابة بالريشة, فهي ليست مثل قلم الرصاص يسهل الكتابة به في أي جهة ويسهل مسحه.. ولا يلوّث اليدين..

لقد مرّت عدة أيام صعبة حتى أتقن فريد الكتابة بالريشة.. ثم صار يشعر بالفخر.. لأن الريشة تتيح له الكتابة بخط جميل.. ويمكن الكتابة

بها على ورق صحيّ كما يفعل العشّاق.. وهو ينتظر أن يكبر قليلا ليكتب رسالة لابنة خاله التي تعجبه..

مغامرات جبليّة

الجبال, وخاصة في الربيع وبداية الصيف, مكان رائع للهو وجمع الأشياء المفيدة وحتى الدراسة, حيث كنّا نأخذ كتبنا ونقرأ في الطبيعة الجميلة..

وقد جاءنا سعد, وهو قريب من زوّار الصيف الذين يعملون في الخارج, وهو يحب المغامرات مثلنا.. ولكنه يقيم في منطقة صحراوية.

رشيد: في الطبيعة يا سعد نجمع ثمار الجربوح (تفّاح المجانين) طيّب الرائحة والطعم.. وهو ينضج في بداية الصيف.. وإن ذهبنا عصر اليوم قد نجد بعضه.

سعد: سمعت عنه, نحن نسميّه تفاح المجانين.. ولكن أن أكلته وهو أخضر يكون ساما.

رشيد: صحيح

سعيد: ونجمع الزعتر والعكوّب واللوف..

رشيد مبتسما: والحشرات

سعد: الحشرات؟

سعيد: مثل الدبابير

رشيد: ليس هذه أقصد, نحن نلتقط أيضا حشرة عصا موسى.. وهي غير مؤذية ابدا.. ولكن شكلها من بعيد يشبه الأفعى

سعد: هل يمكن أن آخذ واحدة معي

رشيد: خذ دزينة.. ولكن ماذا ستفعل بها؟

سعد: ألعب قليلا من بعض اصدقائي في المدينة.. فهم لا يعرفون هذه الأشياء..

سعيد: أكتب لنا رسالة تصف لنا ما يحدث معك

سعد: ان شاء الله.. هناك أولاد جبناء اريد أن تأديبهم.

رشيد: ونلعب أيضا بأم اربع وأربعين..

سعد: ولكن هذه تعضّ وسامّة

رشيد يبتسم: نقطع رأسها وذيلها

سعد: وهل تبقى حيّة

رشيد: نعم تبقى حيّة.. على الأقل لفترة كافية للعب بها.. ولا ندري ربما تعيد بناء ما ينقصها مثل دودة الأرض.

سعد: نجد مثلها أحيانا.. ولكن نقتلها.. لأنها مؤذية..

سعيد: وهل ستأخذ منها

سعد: لا , سأجد في المدينة.. ولكن أريد أن أعرف ما هي الأجزاء التي يجب قصّها.. وكيف أمسكها دون أن تؤذيني..

رشيد: هذه بسيطة.. وحظّا أوفر لك هناك.. ويشير للمدينة مع ابتسامة.

سعد: وماذا تجدون في الجبال

رشيد: هناك بساتين لأهل القرية.. وهم يعطوننا من ثمارهم..

سعيد: بعض الأولاد يسرقون

رشيد: هؤلاء أغبياء.. كلنا في القرية أقارب وأصهار وجيران.. ونعطي بعضنا.. ولكن أولئك يسرقون ليبيعوا.. وليس ليأكلوا

عاد سعد إلى بيته في المدينة وبقي الأولاد ينتظرون رسالة منه.. ولم تصل..

حتى وصلهم خبر من هناك, وهو أن إبن خال سعد, وجد عصا موسى في حذاءه, وظنّها أفعى.. ومن الخوف بال على نفسه.... ولم يذكر سعد بالقصّة

رشيد يضحك: بال على نفسه.. يبدو أن أبناء المدن نواعم

سعيد: لهذا السبب لم يتمكّن سعد من ارسال رسالة, خشي أن تقع بيد والده ويعرفوا أنه السبب..

ويكمل رشيد وهو يضحك: نحن لا نعرف ما فعل سعد غير هذا, ربما وضع أم أربع واربعين في جيب حقيبة ولد آخر وغاب عن الوعي

يضحك الجميع.... ويكمل سعيد: الرائع أن سعد ليس مثلهم.

ويعقّب رشيد: علينا أن ننتظر حتى يعود سعد في عطلة العام القادم... لنعرف كل أخباره.

مغامرة قصيدة الغزل

عرف خلف أن سعيد يمكنه كتابة الشعر.. وصديقه رشيد أخو سعيد يعرف أنه معجب بحسناء, وطلب أن يساعده ليكتب له سعيد قصيدة..

اختارا رشيد وخلف فرصة مناسبة للاختلاء بسعيد, وطلبا منه كتابة قصيدة غزل لخلف..

سعيد: وما هو اسمها؟

خلف: لا يمكن أن اذكره لك

سعيد: وكيف أكتب قصيدة دون أن أعرف اسمها

خلف: أكتب أي اسم من عندك

سعيد: يجب أن أعرف اسمها من أجل وزن الشعر

رشيد وهو يبتسم: اختر اسما على وزن: خرساء.. طرشاء .. شوهاء.. لقد كان يداعب خلف..

سعيد مازحا: هذه أسماء صعبة, هل ينفع أسماء مثل: عمياء.. شمطاء .

تضايق خلف من هذا المزاح.. إلا أنه قبل على مضض ..وقال لسعيد: اختر اسما على وزن علياء.. غيداء... هذه أسماء تساعدك في كتابة شعر عاطفي.. وانسى تلك الأسماء البشعة.

سعيد: وما هي صفاتها؟

رشيد بنزق: مثل غيرها من البنات.. وهل هي من أوروبا

سكت خلف مكرها..

صمت سعيد لوهلة ثم قال, ما رأيكم بهذا البيت أفتتح به القصيدة:

أنا الحسناء يا سعدي....خدودي تُخجل الورد

□وعيني دائما كحلا ... وكفّي ناعمُ وَندي

قال خلف ورشيد: رائع, وسنتركك لتكملها..

وبعد ساعتين جاء سعيد ومعه ورقة عليها الرسالة.. وأحضر خلف وردة جوري صفراء.. واللون الأصفر يعني الغيرة.. فهو قبل أن يعبّر لها عن حبّه.. يريد أن تعرف أنها يغار عليها أيضا..

رشيد: وماذا ستفعل بالوردة الصفراء.. هل ستعطيها لها؟

خلف: ليتني كنت قادرا على هذا.. ولكنه أمر مستحيل.. سأنتزع بضع بتلات صفراء وألصقها على الورقة.. حول القصيدة

رشيد: وكيف ستوصلها لحسناء...

لقد نسي وذكر اسمها.. ضحك سعيد.. وغضب خلف..

وحاول رشيد أن يعتذر.. فقال سعيد: وهل تظنّون أني طفل صغير يفشي الأسرار.. أنا أكتب الشعر.. والشاعر مرهف.. ويقدّر المشاعر ..

خلف: سعيد.. أنا أثق بك.. ولكن إياك أن تخطئ وتذكر اسمها أمام أحد آخر..

ضحك رشيد: ستحدث جريمة شرف

يضحك الجميع.. ويبدأ خلف بالتفكير في طريقة توصيل الرسالة...

مغامرة في مدرسة البنات

ونحن في المدرسة الابتدائية في القرية كنا نسمع عن مدرسة البنات الإعدادية وكأنها كوكب آخر, والقليل الذي نعرفه عن نشاطات المدرسة من زملائنا جيران المدرسة الذي يجلسون على سطوح منازلهم يشاهدون تلك الفعاليات والمناسبات, وكنا نغبطهم.

حسن: أتعلمون؟

سعيد: ماذا؟

حسن: أقامت مدرسة البنات معرضا شاملا يتضمن وسائل تعليمية وأنشطة علمية وأعمال يدوية وعرض أزياء وطعام وغير ذلك وقالوا أن الدعوة عامة

رشيد: عامة؟ هل هذا يعني أنه يمكننا أيضا الذهاب إليها

حسن: نعم, وأختي حسناء مسؤولة عن جناح اللوحات والأعمال الفنيّة, لأن كل جناح يوجد طالبة مسؤولة عنه.. ويوجد معلّمات يتابعن جميع الأجنحة.

سعيد: وأين هي هذه الأجنحة؟

حسن: في الغرف الصفيّة بعد أن أخرجوا المقاعد منها, وكذلك في غرفة التدبير المنزلي وغرفة الفن..

رشيد يسأل أصحابه: ما رأيكم أن نذهب معا عصر الغد؟

حسن: لماذا ليس اليوم؟

رشيد: اليوم مشغول.. دوري أنا ومجدي في حراسة حديقة المدرسة, حيث نحرسها من العصر وحتى المغرب بأمر من معلّم الزراعة.... ولهذا يمكن أن أذهب غدا..

خلف: لا أدري.. لم أتخذ قرارا بعد بخصوص المعرض..

وفي عصر ذلك اليوم, لبس خلف أحسن ثيابه.. ووضع من قنينة عطر صغيرة كان قد اشتراها لظرف مثل هذا ..وأخفى الورقة التي كتب عليها القصيدة في جيبه.. وذهب للمدرسة..

مرّ بالأجنحة سريعا حتى وصل للجناح الذي تشرف عليه حسناء, فهو يهوى الفنون, طبعا هذه كذبة صغيرة أطلقها في كل الأجنحة التي زارها..

وهناك كان قلبه يخفق.. يخشى أن لا تكون حسناء موجودة, ولكنه سمع صوتها تشرح لأحد الزوّار... وهو في الغرفة المجاورة.. شعر بالغضب.., ولكن تبيّن أنه خال حسناء, وهو أكبر منهم بقليل... فشعر بالراحة...

انتظر حتى انتقل خال حسناء لجناح آخر.. ودخل الجناح مبتسما.. وصار يقف طويلا أمام كل لوحة وعمل فنّي.. ويسأل كثيرا ليسمع شرح حسناء.. وهي سعيدة رغم أن الحياء يكاد يمنعها من الكلام... واستغلّ خلف لحظات لم يكن في الجناح غيرهما.. ودسّ القصيدة في زاوية بين المعروضات.. فسارعت حسناء لأخذها وإخفائها في جيبها.. وهي تلهث خوفا وخجلا.. ووجها صار أحمرا فزادت جمالا...

كان هذا حدثا غير مسبوق في حياة خلف وحسناء.. وتأكد كلّ منهما من مشاعر الآخر نحوه.. فقد كان لغة العينين ولغة الجسد.. والمشاعر التي تظهر في الوجه... تحمل رسائل كثيرة.. وهي التي كان يقرأها كل من خلف وحسناء, وليس الحديث عن الأعمال الفنيّة, لقد كانت مجرّد غطاء.. وأهم من هذا كلّه أن خلف تمكّن لأول مرّة من إيصال قصيدة غزل لحسناء..

وداعا..

لقد انتهت هذه الرواية.. وإن كان في جعبتي الكثير من القصص الحقيقية الممتعة التي عشناها في طفولتنا ..والتي يمكن أن ابني عليها حكايات جميلة...ولكن لا اريد أن أطيل عليكم .. حتى لا تملّوا..

وأرجو أن ألتقيكم في رواية أخرى ..

صحيح أنّني سعيد لإنهاء الرواية.. ولكن حزين لأن هذه الرواية أعادتني نصف قرن إلى الوراء.. إلى أيام عشناها بحلوها ومرّها.. ولبضعة ايام فقط.. وأنا لا اريد منكم أن تعودوا لتلك الحياة.. اريد أن تأخذوا بزمام العلوم.. وخاصة العلوم الرقمية.. وهي الأهم في عصرنا.. ولكن لا ننسى ماضينا

من هو المؤلف د. خير شواهين؟

- عمل موظفا في عدّة وظائف في وزارة التربية, وقد ابتكر خلال عمله في التربية مئات الأجهزة المخبرية, والوسائل والألعاب والنماذج التعليمية, وعقد مئات الدورات العلمية.
- حصل على جائزة الأمير حسن للتميز العلمي/المرتبة الأولى, وجائزة عبد الحميد شومان.
- ألّف كتبا منهجية لعدة دول, منها الأردن والعراق, ووحدات منهجية لدول خليجية, في العلوم والرياضيات.
- عمل مؤلفا وخبيرا علميا لليونسكو وتلفزيون سبيس تون, وشركة الدوالج للمناهج, ومشروع حوسبة المناهج السعودية, وشركة التراث للبرمجيات, وصمم ألاف البرامج التفاعلية للمناهج المدرسية, كما صوّر الآف لقطات الفيديو للتجارب العلمية لشركات حوسبة مناهج.
- درّب في معظم الدول العربية, وكانت أهم دوراته بعنوان: " مدخل إلى علم الاختراع " في الكليات التقنية في السعودية, ومؤتمر

الموهبة في سلطنة عُمان, وكثير من المتدرّبين صاروا مخترعين, وبعضهم حصل على جوائز في معرض جنيف للاختراعات, وآخرون أنشئوا شركات لإنتاج وتسويق اختراعاتهم, كما أن كثير من الشباب الذين بدؤوا من كتبه وصلوا لأعلى درجات النجاح.

- مرّت عليه فترات كان يعمل فيها لعدة شركات في عدة دول عربية, من بيته, في مجال التأليف وتصميم البرامج التفاعلية, والبرامج العلمية للأطفال.
- كتبه الورقية وصلت إلى المائتي كتاب, وكتبه الرقمية المنشورة مجانا على الإنترنت, أكثر من خمسين كتابا.
- من عدة سنوات تفرّغ للعمل في التأليف في بيته, وهو يعمل لساعات طويلة في النهار والليل, ولا يشغله شيء عن التأليف.
- اهتماماته منذ الطفولة متنوّعة, ولهذا عادة يبدأ كل كتاب من كتبه بذكر علاقته بهذا الموضوع, ومن فترة مبكّرة.
- كتبه العلمية قدّم فيها الأجهزة والوسائل والألعاب العلمية التي اخترعها, ولهذا لم يكتب لها مراجع, أما كتبه في المواضيع العلمية

الحديثة, فيطّلع على أحدث الكتب الأجنبية, ويختار أفضل ما فيها من علوم, ويهمل الجانب الثقافي, ثم يعيد كتابتها بما يناسب ثقافتنا العربية الإسلامية.

- يتقن الإنجليزية بشكل كبير, ولهذا سرعته في قراءة الكتب الإنجليزية قريبة جدا من سرعته في اللغة العربية, وله كتب في تعليم اللغة الإنجليزية.
- سريع جدا في العمل والطباعة, ولا يستخدم الورق, وإنما يطبع مباشرة, وفي نهاية اليوم يراجع ما كتبه في ذلك اليوم, وقد يصل ما يكتبه يوميا لما معدّله 20–30 صفحة.
- بدأ حياته شاعرا حتى مرحلة الدراسة الجامعية, ولهذا له اهتمام كبير في اللغة العربية.
- على خطته الكثير من الكتب في المجالات التربوية والتقنية والتنمية البشرية, وكل ما يرجوه من الله أن يوفّقه لإكمال هذه الكتب.

- ولمزيد من المعلومات يمكنكم قراءة النسخة الورقية, أو تنزيل نسخة رقمية, مجانا من الإنترنت, من روايته, سيرة حياته, "الفينيق وبيت العنكبوت".
- بخصوص سرعته في العمل, في عام 2007 قام بتوقيع عقد من اليونسكو لتأليف 15 دليل تجارب مخبرية للمناهج العراقية, وخلال مدّة شهرين, ونجح في ذلك, والعقود موجودة, ويتوفّر صور رقمية عنها لدى الناشر.

من هو الرسّام عمر رمزي؟

لقد طلبت منه رسم سكتشات بسيطة للتعبير عن مغامرات الرواية, ورسم ملوّن للغلاف

الاسم عمر رمزي احمد زبيدات

مواليد **2008-1-14** وفي الصف ثامن حاليا .

نائب في برلمان الطفل الاردني الاول

رسام .شارك بعدة ورشات رسم مع فنانين ..له عدة لقاءت اذاعية وتلفزيونيه اذاعة اليرموك ...اذاعة اربد الكبرى.. راديو الان ..والتلفزيون الاردني ..وتلفزيون رؤيا ..

شارك بعدة مسابقات حصل على مركز اول في الغالب ..اهمها مسابقة موهبتي من بيتي مع وزارة الثقافة الأردنية ..ومسابقة نجم المخيم ...ومسابقة لوكالة الغوث

مشارك بمبادرات بموهبة الرسم ...له مشاركات بمجلة وسام الصادرة من وزارة الثقافة الأردنية ومشاركة في مجلة رؤيا الثقافية الصادرة في مخيم نهر البارد في لبنان.. وعدة مقابلات بالصحف الأردنية ..ووكالة الانباء الأردنية.. شارك رسومات بمؤتمر العمل الانساني الاول في اربد موضوعه

عن العنف بأشكاله ..مشارك في كتاب المبدعون العرب الف قلم ...

..مشارك في منصة لمه .. له عدة معارض مشتركه مع فنانين كبار

..ومعرضين شخصيات في وزارة الثقافة الأردنية ..حاصل على دورات في الثقافة الإعلامية , والاستخدام الامن للأنترنت ...واخيرا مهرجان شبيب للثقافة والفنون .

الفهرس

المحتوى	الصفحة
عندما كنت صغيرا..	7
مغامرة صيد الدبابير	9
مغامرة عمل الكيك	18
مغامرة صيد العصافير... والقطط!	20
مغامرة التطعيم	24
مغامرة الباطوس	27
مغامرة عقوبة المدخّنين	31
مغامرة الحلاقة	35
مغامرة الألعاب النارية في العرس	38
مغامرات زراعية	41
مغامرة الغولة	45
مغامرة الكهرباء	52
مغامرة الكلب المزعج..	55
مغامرات قيس الغبيّ	57

مغامرة الذهب..	59
مغامرة مع الخلد..	70
مغامرات وسائل الاتصال..	73
مغامرات يوم العيد...	81
مغامرات الامتحانات..	86
مغامرة الكاميرا	91
مغامرة معلم الرياضيات	96
مغامرة الطائرة الورقية	102
مغامرة ريشة الكتابة	104
مغامرات جبليّة	107
مغامرة قصيدة الغزل	112
مغامرة في مدرسة البنات	115
وداعا..	120
من هو خير شواهين؟	121
من هو الرسّام عمر رمزي؟	125
الفهرس	127